٦٩
المجلد

ISSN 2347-2456

شعارنا الوحيد إلى الإسلام من جديد

مؤسسة الصحافة والنشر

البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية جامعة

العدد الأول – المجلد التاسع والستون جمادى الثانية ١٤٤٤هـ – يناير ٢٠٢٣م

- ذكرى من تاريخ ندوة العلماء والصحافة الإسلامية العربية فيها ! (افتتاحية العدد)
- مقياس الحضارة في المجتمع الإسلامي
- الظاهر والباطن في الكون
- المشتركات الإنسانية بين رفضها واتخاذها وسيلة من وسائل الدعوة
- مفهوم الإعجاز التأثيري للقرآن الكريم
- فلسفة " الحياة والموت " في الشعر العربي القديم
- حركة تحرير المرأة في مصر : دراسة عامة
- تطور الصحافة العربية في العالم العربي : أسبابه وأساليبه
- العروض العربي بين الأصالة والاستعارة
- شجرة طيبة أصلها ثابت ، وفرعها في السماء

تصدرها : مؤسسة الصحافة والنشر، ص.ب.٩٣، لكناؤ. الهند
If undelivered please return to:
Al Baas El Islami, Majlis Sahafat wa Nashriyat , Nadwatul Ulama Campus, Tagore Marg,
Post box no.93 Lucknow-226007 Uttar Pradesh, India.
Email: info@albasulislami.com Website: www.albasulislami.com

العبقري العصامي !

العبقري العصامي الذي يأخذ من علوم الغرب ما تفتقر إليه أمته وبلاده ، وما ينفع عمليًا ، وما ليس عليه طابع غرب أو شرق ، إنما هي علوم تجريبية تطبيقية ، وينفض عن كل ما يأخذه من الغرب غبارًا لصق به في القرون المظلمة ، وفي عصر الثورة على الدين ، وفي حالة توتر أعصاب وقلق نفوس ، يأخذ العلوم المفيدة مجردة من روح الإلحاد والعداء للدين ، ومن النتائج الخاطئة ، ويطعمها بالإيمان بفاطر الكون ومدبره ، ويستنتج منها نتائج أعظم وأوسع وأعمق وأكثر سعادة للإنسانية ، مما توصل إليه أساتذتها الغربيون .

العبقري العصامي الذي لا ينظر إلى الغرب كإمام وزعيم خالد ، وإلى نفسه كمقلد وتلميذ دائم ، إنما ينظر إلى الغرب كزميل سبق ، وكقرين تفوّق في بعض العلوم المادية والمعاشية ، فيأخذ منه ما فاته من التجارب ، ويفيض عليه بدوره ما سعد به من تُراث النبوة ، ويعتقد أنه إن كان في حاجة إلى أن يتعلم من الغرب كثيرًا ، فالغرب في حاجة إلى أن يتعلم منه كثيرًا ، وربما كان ما يتعلمه الغرب منه أفضل مما يتعلمه هو من الغرب ، ويحاول أن ينهج - بذكائه وجمعه بين حسنات الغرب والشرق ، وقوى الروحانية والمادية - ويضيف إلى المدارس الفكرية ، والمناهج الحضارية مدرسة جديدة تستحق كل عناية ودراسة وتقليد واتباع. هذا هو العبقري العصامي الذي لا يزال مفقودًا في صفوف القادة والزعماء في العالم الإسلامي على كثرتهم وتنوعهم ، وهذا هو العملاق حقًا الذي يبدو في جانبه القادة المقلدون المطبقون صغارًا متواضعين كالأقزام.

(سماحة العلامة الندوي رحمه الله)

الاشتراكات السنوية

- **في الهند**

أربع مأة (بالبريد العادي)	٤٠٠ / روبية
ست مأة و عشرون(بالبريد المسجل)	٦٢٠ / روبية
ثمن النسخة	٤٠ / روبية

- **في العالم العربي ، وفي جميع دول العالم:**

٥٠ /دولارًا بالبريد الجوي ، أما البريد العادي فهو ملغى بصفة رسمية

- المجلة غير ملتزمة بكل فكر ينشر فيها

عنوان المراسلات:

ترسل الاشتراكات بالشيك: باسم "البعث الإسلامي"

AL-BAAS, A/C NO. 10863759846
IFSC CODE: SBIN0000125, SWIFT CODE: SBININBB157
STATE BANK OF INDIA, LUCKNOW MAIN BRANCH (INDIA)

مكتب البعث الإسلامي

(مؤسسة الصحافة والنشر) ندوة العلماء ص ب ٩٣، لكناؤ (الهند)

AL-BAAS-EL-ISLAMI
MAJLIS SAHAFAT WA NASHRIYAT , NADWATUL ULAMA
P.O. BOX. 93, LUCKNOW - 226007 - U.P. (INDIA)

بسم الله الرحمن الرحيم

شعارنا الوحيد إلى الإسلام من جديد

المجلد ٦٩

مؤسسة الصحافة والنشر

البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية جامعة

January 2023 — يناير ٢٠٢٣م

العدد الأول – المجلد التاسع والستون – جمادى الثانية ١٤٤٤هـ – يناير ٢٠٢٣م

ندوة العلماء

تأسست ندوة العلماء ودارالعلوم التابعة لها على مبدأ التوسط والاعتدال، والجمع بين القديم الصالح والجديد النافع،وبين الدين الخالد الذي لا يتغير، والعلم الذي يتغير ويتطور ويتقدم ، وبين طوائف أهل السنة التي لا تختلف في العقيدة والمنصوص، وقامت من أول يومها على الإيمان بأن العلوم الإسلامية علوم حية نامية ، وأن منهاج الدراسة خاضع لناموس التغير والتجدد ، فيجب أن يتناوله الإصلاح والتجديد في كل عصر ومصر ، وأن يزاد فيه ، ويُحذف منه بحسب تطورات العصر ، وحاجات المسلمين وأحوالهم.

الإمام العلامة الشيخ السيد أبوالحسن علي الحسني الندوي (رحمه الله)

أنشأها

فقيد الدعوة الإسلامية

الأستاذ محمد الحسني رحمه الله تعالى

في عام:١٣٧٥هـ -١٩٥٥م

المشرف العام

العلامة السيد

محمد الرابع الحسني الندوي

رئيس التحرير

سعيدالأعظمي الندوي

مدير التحرير

محمد فرمان الندوي

مساعد التحرير المسئول عن المكتب

محمد عبد الله المخدومي الندوي

المراسلات

البعث الإسلامي

مؤسسة الصحافة والنشر

ص.ب.٩٣ لكناؤ (الهند)

AL-BAAS-EL-ISLAMI

MAJLIS - E - SAHAFAT -WA- NASHRIYAT P. O. BOX: 93 Tagore Marg, Lucknow. Pin:226007 U. P. (India) Mob: 9889336348, 8400476826

Email: albaas1955@gmail.com , info@albasulislami.com

محتويات العدد

العدد الأول – المجلد التاسع والستون – جمادى الثانية ١٤٤٤هـ – يناير ٢٠٢٣م

❖ **الافتتاحية :**

ذكرى من تاريخ ندوة العلماء والصحافة الإسلامية العربية فيها !	سعيد الأعظمي الندوي	٥

❖ **التوجيه الإسلامي :**

مقياس الحضارة في المجتمع الإسلامي	قيد الدعوة الإسلامية الأستاذ محمد الحسني رحمه الله	٩
الظاهر والباطن في الكون	سماحة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي	١٥

❖ **الدعوة الإسلامية :**

المشتركات الإنسانية بين رفضها واتخاذها وسيلة من وسائل الدعوة	د . حبيب النامليتي	٢١
مفهوم الإعجاز التأثيري للقرآن الكريم	الأستاذ محمد نعمان حسن	٢٤
الجنين الإنساني وسفر تكوين الإنسان بين العلم الحديث والقرآن الكريم	الباحث محمد سليم الله أبو الكلام	٣٢

❖ **دراسات وأبحاث :**

من أبعاد التواصل في الآداب العالمية : سرديات الإسرآء بين المعري ودانتى وغوطه وإقبال	أ . د . محمد ثناء الله الندوي	٣٩
فلسفة " الحياة والموت " في الشعر العربي القديم	الدكتور عبد الحي الحسني الندوي	٤٧
حركة تحرير المرأة في مصر : دراسة	أ . د . مسعود عالم الفلاحي	٥٢
تطور الصحافة العربية في العالم العربي : أسبابه وأساليبه	الأستاذ ملك محمد أحمد الندوي	٥٨
العروض العربي بين الأصالة والاستعارة	الباحث محمد سعود الأعظمي	٦٤

❖ **رجال من التاريخ :**

فضيلة الأستاذ الدكتور عبد الفتاح بركة	الدكتور غريب جمعة	٧٢
الحسنُ بن الهَيثم – رائدُ البحثِ العلمي	الدكتور محمد أنظر الندوي	٧٩

❖ **في مسيرة الحياة :**

٤٨/ سنةً في ظلال تربية الإمام العلامة أبي الحسن الندوي	سعيد الأعظمي الندوي	٨٤

❖ **صور وأوضاع :**

شجرة طيبة أصلها ثابت ، وفرعها في السماء	محمد فرمان الندوي	٨٨

❖ **إصدارات حديثة :**

١. محاضرات في تاريخ الأدب العربي للأستاذ محمد علاؤ الدين الندوي	مدير التحرير	٩٢
٢. تاريخ ندوة العلماء باللغة العربية للدكتور محمد أكرم الندوي	" " "	٩٤

❖ **أخبار علمية وثقافية :**

مجمع البحوث والدراسات الشرعية يعقد ندوة فقهية في رحاب ندوة العلماء	مدير التحرير	٩٧

❖ **إلى رحمة الله تعالى :**

١. الشيخ المفتي محمد رفيع العثماني إلى رحمة الله تعالى	قلم التحرير	٩٩
٢. الأستاذ الباحث محمد عُزير شمس إلى رحمة الله تعالى	" " "	٩٩
٣. الدكتور محمد نجاة الله الصديقي في ذمة الله تعالى	" " "	١٠٠
٤. الأستاذ الدكتور محمود الطحان إلى رحمة الله تعالى	" " "	١٠٠
٥. الأخ العزيز رشيد أحمد إلى رحمة الله	" " "	١٠١
٦. والد الدكتور خورشيد أشرف الندوي إلى رحمة الله تعالى	" " "	١٠١
٧. والد الأخ الأستاذ محمد جاويد أختر الندوي إلى رحمة الله تعالى	" " "	١٠١
٨. الأخوان العزيزان السيد نقيب بن نور الأمين وانتخاب عالم في ذمة الله تعالى	" " "	١٠٢

بسم الله الرحمن الرحيم

ذكرى من تاريخ ندوة العلماء
والصحافة الإسلامية العربية فيها !

لقد كان تأسيس ندوة العلماء في الهند أيام الاحتلال الإنجليزي في هذه البلاد ، وقد أنجز ذلك باجتماع نخبة من علماء البلاد طولاً وعرضاً ، كان قد تم وضع حجر أساسها بيد علامة الهند الشيخ محمد علي المونجيري ، وجعل شعارها الحي " الجمع بين القديم الصالح والجديد النافع " ، وقد تم ذلك في عام ١٨٩٢م ، فكانت القاعدة الأساسية التي لم تتنازل عنها في أي زمن ولا في أي حال ، وقد كان أمام عين المؤسس الكريم (رحمه الله تعالى) ومؤسسيها عند تأسيس هذه المأثرة التاريخية ، قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه : " كلّموا الناس على قدر عقولهم ، أتريدون أن يكذب الله ورسوله " .

أما الأهداف المتميزة التي تبنتها ندوة العلماء فتلخصت في إعداد جيل متحمس لبناء الحياة على أساس الدين الإسلامي المتعمق وإصلاح المقررات التعليمية ودحض الخلافات في بناء الجيل الإسلامي النموذجي ، مع نشر قواعد الإسلام الجامعة في أرجاء المعمورة كلها .

يقول سماحة العلامة السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي الذي وسّع هذه الجزيرة العلمية والدينية ، وتحمّل مسئولية توسعتها وتطبيقها على جميع النواحي ، ونشرها في أوساط العلم والثقافة والدين في كل زمان ومكان ، يقول في مناسبة تاريخية لتأسيس ندوة العلماء ودار علومها في كتابه التاريخي " المسلمون في الهند " :

" تأسست ندوة العلماء ودار العلوم التابعة لها على مبدأ التوسط والاعتدال ، والجمع بين القديم الصالح والجديد النافع ، وبين الدين الخالد الذي لا يتغير ، والعلم الذي يتغير ويتطور ويتقدم ، وبين طوائف أهل السنة التي لا تختلف في العقيدة والمنصوص ، وقامت من أول يومها على الإيمان بأن العلوم الإسلامية علوم حية نامية ، وأن منهاج الدراسة خاضع لناموس التغير والتجدد ، فيجب أن

يتناوله الإصلاح والتجديد في كل عصر ومصر ، وأن يزاد فيه ، ويحذف منه ، بحسب تطورات العصر ، وحاجات المسلمين وأحوالهم "[1] .

ثم قامت بفضل الله تعالى وعونه ندوة العلماء كحركة تعليمية توجيهية فجعلت ضمن أهدافها الأساسية إصلاح المنهج التعليمي على أساس العلم والدين ، وقد أصابت المحز حينما عقدت ندوات ومؤتمرات وجلسات تعليمية كثيرة ، حتى تكوَّن اتجاه لإصلاح المنهج التعليمي ، فأخرج منهاج الدراسة كتب الفلسفة والمنطق التي لا حاجة إليها في هذا العصر الجديد ، وزاد مقدار دراسة اللغة العربية وآدابها لأن اللغة العربية والأدب العربي مفتاح كنوز الكتاب والسنة .

يقول أستاذنا الكبير العلاّمة السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي نجل مؤرخ الهند الإسلامي الكبير العلاّمة الشريف السيد عبد الحي الحسني ، وهو يتحدث عما وجدت اللغة العربية من الاعتبار إثر تأسيس ندوة العلماء ودار علومها :

" عنيت دار العلوم بصفة خاصة بالقرآن الكريم – الرسالة الخالدة – وتدريسه ككتاب كل عصر وجيل ، وعنيت باللغة العربية التي هي مفتاح فهمه وأمينة خزائنه ، ووجهت عنايتها إلى تعليم هذه اللغة الكريمة كلغة حيّة من لغات البشر يُكتب بها ويُخطب ، لا كلغة أثرية دارسة لا تجاوز الأحجار أو الأسفار كما كان الشأن في الهند " .

قام رجال ندوة العلماء وأبناؤها قبل الجميع بهذه الخطوة الثورية التي كانت تعتبر بدعة لدى كثير من الناس ، وركزوا على هذه النقطه تركيزاً قوياً ووضعوا منهجاً جديداً للتعليم الديني وجعلوا اللغة العربية هي لغة تدريس المواد العلمية وخاصة أنقذوا الأدب العربي من ذلك الحصار الضيق الذي كان محبوساً فيه بين " المقامات الحريرية " و " نفحة اليمن والعرب " و " ديوان المتنبي " إنهم أخرجوه لأول مرة إلى الجوّ الواسع حيث تنفس الصعداء ، ونال مجالاً واسعاً

[1] المسلمون في الهند ، ص ١٢٤ ، للعلامة الندوي ، طبع المجمع الإسلامي العلمي ، لكناؤ ، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م .

جداً للتطور والتقدم والتوسع ، فخرج من أساليب السجع والقوافي والتصنيع المشين إلى أسلوب طبعي أصيل ، ودخل في جميع أصناف العلم والفن ، وعرف الناس أن الأدب العربي ليس كما كانوا يزعمون محصوراً بين عدة كتب لا يمكن أن يتجاوزها إلى غيرها من الشئون الحيوية والثقافات المتنوعة ، وأن اللغة العربية أصعب اللغات لا يمكن التكلم بها والتعبير بها عن ذوات الصدور .

لقد كان لهذه الخطوة الثورية في مجال تعليم اللغة العربية دوي في جميع الأوساط العلمية والأدبية ، أرغم رجال التعليم والتربية في المراكز والمدارس الإسلامية على التفكير في هذا الموضوع والانتفاع بالتجربة الجديدة التي قامت بها ندوة العلماء في هذه البلاد .

وعكف رجال ندوة العلماء بغاية من الصبر والعزم الأكيد رغم مخالفات ظهرت في ذلك الوقت من بعض الجهات على تمثيل الأدب العربي في جميع مجالات العلم والثقافة ، فدأب في صمت مديرها الكبير العلامة السيد عبد الحي الحسني " رحمه الله " المتوفى عام (١٣٤١هـ – ١٩٢٣م) الذي عُرف فيما بعد بمؤرخ الهند الإسلامي الكبير ، على تأليف تاريخ الهند برجالها وأعيانها وعهودها الإسلامية وثقافتها وحضارتها ومراكزها العلمية وآثارها التاريخية ، وألف من غير أن يقوم بأي دعاية ، تاريخ الهند الإسلامي الواسع باللغة العربية الذي غطي آلاف الصفحات ، وذلك كأول خطوة في مجال بعث اللغة العربية والاعتناء بها وتحيقيقاً للثورة الأدبية التي نادى بها علماء ندوة العلماء ورجالها والمسئولون عنها ، وأداءاً للواجب الذي يعود إلى العلامة الحسني كأكبر مسئول لندوة العلماء في زمنه .

وقد ظهرت الصحافة العربية في ندوة العلماء عندما رأي المسئولون عنها أن مهمة رفع مستوى اللغة العربية واعتبارها لغة حية إنما هي حاجة أكيدة للبلاد ، وإن هذه الحاجة لا تتحقق إلا بتعريف الصحافة العربية وتعميمها في جو المدارس الإسلامية ، فكان صدور مجلة " الضياء " كلسان حال لندوة العلماء تحقيقاً لهذا الغرض وسداً لهذا الفراغ ، فقد صدرت هذه المجلة تحت إشراف العلامة الكبير السيد سليمان الندوي وأستاذنا الكبير العلامة الشيخ محمد تقي

الدين الهلالي المراكشي ، وكان رئيس تحريرها العلاّمة مسعود عالم الندوي ، ظهر العدد الأول في شهر مايو عام ١٩٣٢م الموافق محرم الحرام عام ١٣٥١هـ ، وأحرز في مدة قليلة ثقة العلماء وقبولاً حسناً لدى الشعب لفصاحة لغتها وصحة تعبيرها وموادها الدسمة وموضوعاتها الشيقة ، واستمرت إلى أربع سنوات ، ثم احتجبت .

وبعد عشرين سنة من احتجاب مجلة " الضياء " استأنفت الصحافة العربية سيرها في ندوة العلماء ، وقدّر الله سبحانه وتعالى أن يطلع من أفق ندوة العلماء مجلة شهرية باسم " البعث الإسلامي " ، وكان من أهداف المجلة :

١. رفع مستوى اللغة العربية والأدب العربي في الهند .
٢. توثيق الصلات الأدبية والثقافية بين المدارس في الهند .
٣. إنشاء روابط ثقافية بين طلاب المدارس العربية وشباب العالم العربي .
٤. توجيهات رشيدة للطلبة في الدراسة والتعليم .
٥. بعث الروح الإسلامية والأدبية في الشباب .

وقد صدر أول عدد للمجلة في صفر ١٣٧٥هـ ، الموافق أكتوبر ١٩٥٥م متميزاً بالمقالات الإسلامية والأدبية والعلمية تحت رئاسة تحرير الأديب الكبير الراحل الأستاذ السيد محمد الحسني رحمه الله تعالى ، ونال قبولاً في الأوساط العلمية والأدبية ، وظلت المجلة منذ صدورها محتفظة بأسسها ودعائمها ، ومنهجها المقرر لها ، ولم تتنازل عنها قيد شعرة ، وهي تتميز بالأصالة والمعاصرة بفضل الله وكرمه .

وقد بدأت هذه المجلة اليوم مسيرتها الجديدة ، وهي المجلد التاسع والستون ، ونالت لفتة كريمة من العلامة الأديب الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي حفظه الله (رئيس ندوة العلماء) ، وبهذه المناسبة ندعو الله أن يجعل لها الاستمرارية والقبول في المستقبل ، والله ولي التوفيق .

سعيد الأعظمي الندوي
١٤٤٤/٥/٩هـ
٢٠٢٢/١٢/٣م

مقياس الحضارة في المجتمع الإسلامي

بقلم : فقيد الدعوة الإسلامية الأستاذ محمد الحسني رحمه الله

هذه الناطحات للسحاب ، وتلك المباريات للريح ، وهذه الخافقات في السماء ، والسابحات في الماء ، وهذه الأنوار المتلألئة البديعة والألوان الرائعة البهيجة ، وهذه الأصوات المحمولة على جناح الأثير ، والصور الحية المتحركة على الشاشة ، وهذا المقعد المريح ، والفراش الوثير ، والطعام اللذيذ ، والزي الأنيق ، وهذه الابتسامة المتكلفة ، والمشية المتبخترة ، وهذه الأجساد العارية الكاسية ، والنزوات الثائرة العاتية ، وهذه الحرية الكاملة في طريق الشهوات الفتية الجامحة ، ليست " حضارة " ، إنما هي مظهر طبعي ، ومظهر برئ ، ومظهر صادق ، للروح المستورة وراء هذه المظاهر ، والصور والأشكال .

إنها ليست حضارة أبداً ، وإنها ليست نهضة أبداً .

فالعبرة دائماً – وفي جميع الأحوال والملابسات – باليد العاملة من وراء ستار ، وبالروح الآمرة الناهية المتصرفة في خفاء ، ومن وراء جدار .

عندنا في الشرق – وفي الشرق الإسلامي بوجه أخص – خلط والتباس عجيب في مفهوم الحضارة و " النهضة " ، إن مداركنا لهذه " الحضارة " لا تختلف كثيراً عن مدارك الرجل الغربي للحضارة ، إننا لم نستطع أن نفرق بين اللب والقشر ، وبين الوجه المستور والوجه المكشوف ، وبين الصورة والحقيقة ، وبين القيم الراسخة في النفس ، الغارقة في الأعماق ، وبين هذه المظاهر المبعثرة على وجه الأرض ، المنتشرة في الآفاق .

الحضارة ليست ذلك الكرسي الذي نجلس عليه ، والقلم الذي نكتب به ، والإناء الذي نشرب منه الماء ، إنما هو " الشخص " الذي يستعمل هذا وذاك لغرض خاص وعاطفة خاصة ، وروح لا تنفك عنه لأي لحظة من اللحظات ، فإذا كانت هذه الروح روحاً قدسية وروحاً طيبة وروحاً نظيفة جلس يذكر الله ، وراعى أثناء الشرب أن لا يكون حراماً ، وحمده على هذه النعمة ، وشكره على هذا الخير .

وإذا كانت هذه الروح روحاً سافلة ، روحاً خبيثة ملتصقة بالأرض ، متمرغة في الوحل ، وحل الشهوات والنزوات ، جلس لنفسه أو

لشيطانه ، وكتب في تشويه الحق وتقوية الضلال ، وشرب من آنية حرام وماء حرام ، وعاد إلى إجرامه في محاربة دين الله .

فالحضارة إذاً ليست هذه " الأدوات البريئة " التي خلقها الله في خدمة الإنسان ، بل إنما هي روح تهيمن على هذه التصرفات ، والنية التي تنبعث منها هذه الأعمال .

" وإنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى " .

إن " مقياس الحضارة في المجتمع الإسلامي ، غير مقياسها في المجتمع الجاهلي بجميع صوره وألوانه ، وهذه هي نقطة الفصل ، ونقطة الالتباس أيضاً ، الأصل – في المجتمع الإسلامي – هو العبودية لله ، والخضوع أمام شريعته والاتصال به اتصال القلب والروح والتفكير والوجدان ، والجهاد في سبيله بأعز ما يملكه الإنسان ، أما هذه الوسائل والأدوات فهو لا يأخذ منها إلا بقدر ما يكفي لتحقيق مهمته في هذه الحياة ، وإعلاء كلمة الله في الأرض ، ولا يأخذ منها إلا في حدود معلومة واضحة أذن بهما الله .

أما مقياس الحضارة في الغرب فهو أن يأخذ الإنسان كل ما تهوى نفسه من مال ومتاع ونساء بالوجه الشرعي أو غير الشرعي سواءً بسواء ، إن هذا المقياس يعتبر السابق في هذا المجال والفائز في هذه المسابقة أسعد إنسان على ظهر الأرض ، وبين المقياس بون شاسع وفرق هائل . ولكنه فرق طبيعي بين الإسلام والجاهلية ، في ظاهر نشاطاتهما وأدوارهما منذ زمن قديم جداً ، إن روح الغرب مادية بحتة ، مظلمة كالحة ، وهي لا تستطيع أن تنتج غير هذه المظاهرة المادية ، إنها عقيمة عن كل نوع من الأهداف السامية ، والأغراض النبيلة ، إنها عاجزة عن أن تنجب الإيثار ، والحب ، والحنان ، والإيمان ، والإنابة ، والتوكل ، والشكر ، والقناعة ، والصبر ، والتماسك ، والعفاف ، والطهارة ، والإخلاص ، والوفاء ، والطاعة ، والولاء ، ولا أي معنى نبيل كريم عظيم ترتفع به هامة الإنسان في غابة الحيوانات ، ويسمو به على غيره من المخلوقات .

هذه الروح المادية المظلمة هي مقياس " الحضارة " في الغرب ، وأساسها وجوهرها ، ولحمتها وسُداها ، وطابعها الدائم الأصيل ، فإذا هي ركزت كل قواها على المادة ، فإنها بذلك لم تأت بدعاً ، بل إنما عملت عملها الطبيعي ، وقامت بدورها المنتظر ، وآتت ثمرها المرتقب .

أما نحن – تلك الأمة التي بعثها الله لتغيير الموازين والمقاييس

وتغيير وجه الأرض واتجاه الإنسانية – فلا يجوز لنا ولا يجدر بنا أن نقع فريسة هذا الخلط العجيب بين المقياسين ، وبالتالي بين الحضارتين .

إن استيلاء الغرب العلمي والسياسي أقام ستاراً كثيفاً دون رؤية الحقائق ، وذر الرماد في عيوننا ، وفرض علينا مفهومه الخاص عن الحضارة الذي لا يقبله الوحي والشريعة ، والدين الإلهي ، في أي حال من الأحوال .

فحينما يقولون – في جميع البقاع والأصقاع – عن مجتمع أنه متحضر ، أو عن شعب أنه شعب متحضر ، فإنهم لا يرصدون بذلك تلك الصفات الإنسانية النبيلة ، والأهداف السامية ، بل إنهم يريدون تضخمه المادي ، ورخاءه الاقتصادي ، وتفوقه العلمي فحسب ، ولو كان ذلك على حساب ضمير المجتمع وقلبه وإنسانيته ، فأصبح المسلمون أيضاً منذ زمن طويل منذ استيلاء الغرب وفوزه بعرش القيادة ، لا يفهمون من " الحضارة " إلا ذلك المعنى الغربي ، وظلوا طوال عشرات السنين يدافعون عن الإسلام دفاع المعتذر الخائف ، ويحاولون أن يبعدوا عنه هذه التهمة المزعومة التي التصقت به ، فانطلقوا بنفس النغمة الغربية ، وعرضوا الإسلام كحضارة من هذه الحضارات المادية ، الأرضية ، السافلة ، وقالوا : إن حضارتنا سبقت الغرب في هذه الأنواع ، وأنها أيضاً أقامت الحمامات الضخمة ، والينابيع العظيمة المدهشة ، والمباني الهائلة الرائعة ، وشجَّعت الفنون الجميلة والصورة والرسم والموسيقى ، وقدموا الآثار التاريخية ، أمثال قصر الحمراء في الأندلس ، والتاج محل في الهند ، كنموذج لهذه الحضارة الرائقة الزاهية .

هنالك طبقة من المثقفين وأنصاف المثقفين في ربوع العالم الإسلامي كله لا تزال تحتضن هذه الفكرة منذ زمان ، وترى فيها السلامة والأمان ، ولكن هذه الفكرة – في الأصل – فكرة غربية تماماً ، تولدت من سوء فهم لمعنى الحضارة ، وسوء تقدير للمنهج الإسلامي ، المستقل الأصيل .

إذا كانت هذه الأشياء " حضارة " فمعنى ذلك أن الصحابة والتابعين كانوا غير متحضرين ، وكانوا جهالاً قرويين ، – ونعوذ بالله – أمام بطارقة الفرس والروم ، وملوكهما وأمرائهما ، ويحلو لي أن أقدم هنا منظر دخول ربعي بن عامر ، بلاط رستم قبل وقعة القادسية ، فإن فيه تفسيراً لما نقول ، وتصويراً للموقف الإسلامي إزاء الحضارات المادية قديمها وحديثها .

" أرسل سعد بن أبي وقاص قبل القادسية ربعي بن عامر رسولاً إلى رستم ، قائد الجيوش الفارسية وأميرهم ، فدخل عليه ، وقد زينوا مجلسه بالنمارق والزرابي والحرير ، وغير ذلك من الأمتعة الثمينة ، وقد جلس على سرير من ذهب ، ودخل ربعي بثياب صفيقة وترس وفرس قصيرة ، ولم يزل راكبها حتى داس بها على طرف البساط ، ثم نزل وربطها ببعض تلك الوسائد وأقبل وعليه سلاحه وبيضته على رأسه ، قالوا له : ضع سلاحك ، فقال : إني لم آتكم ، وإنما جئتكم حينما دعوتموني ، فإن تركتموني هكذا وإلا رجعت ، فقال رستم : ائذنوا له ، فأقبل يتوكأ على رمحه فوق النمارق ، فخرق عامتها ، فقال له رستم : ما جاء بكم ؟ فقال : " الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده ، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام " .

هنالك نرى الحضارة الإسلامية واضحة جلية في موقف ربعي بن عامر في هذا البلاط وحديثه مع الملك ، ودعوته إلى الدين الحق ، وهو يدلنا أن حضارة " النمارق والزرابي " ليست إلا بداوة وتأخراً وانحطاطاً إذا خلت عن نور الوحي الإلهي والهدي السماوي ، وإن المظاهر لا اعتبار لها ، بل إن الاعتبار للروح التي تحدوها .

وقد تسربت موجة من هذه المظاهر على مر الزمن في المجتمع الإسلامي أيضاً فحاربها عمر بن عبد العزيز (رحمه الله) في عهده ، وأصلح ما فسد ، وأقام ما اعوجّ ، وسد هذه الثغرات في حصن المجتمع الإسلامي ومعقله المنيع .

الإسلام لا يعادي نعمة الرخاء والهناء ، وقد قال القرآن : (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَٱلْطَّيِّبَاتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ)[1] . ويقول : (وَلاَ تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ)[2] .

وكان من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم دائماً طلب العفو والعافية واليسر والمعافاة في الدنيا والآخرة .

ولكنها ليست – عنده – حضارة في ذلك المعنى الخاص الذي يُراد به في الغرب والشرق اليوم ، إنه لا يعتبر الفقر في المكاسب والمغانم والوسائل والأدوات تأخراً وانحطاطاً ، ولا يعتبر الرخاء المادي " حضارة

---

[1] سورة الأعراف ، الآية ٣٢ .

[2] سورة القصص، الآية ٧٧ .

ومدنية " ، بل إنما العبرة عنده بالروح التي تستر وراء هذا وذاك ، وتسوقه هنا وهناك .

وشعاره الوحيد ، أنه لا قديم ولا جديد ، ولا حضارة ولا بداوة ، ولا تأخر ولا نهضة ، ولا رجعية ولا تقدمية ، بل جاهلية إسلام ، ونور وظلام .

(فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلاَّ ٱلضَّلاَلُ) [1] !

فالمسلم الفقير ، الجاهل ، المجرد من كل شارة ولافتة ، العطل من كل زينة ورخاء ، ورواء وبهاء ، متحضر ، ومثقف ، وراق ، إذا حمل في صدره نعمة الإيمان ولوعة الحب ، وتربى على تلك المكارم والفضائل التي دعا إليها الإسلام .

فأصبح الشيئ الفاصل بين " متحضر " و " متخلف " هو الإيمان ومدى تسربه في القلب ، وسيطرته على النشاط الفكري والعضوي ، وأصبح مقياس " الحضارة " تلك الفضائل الإسلامية والأهداف السامية التي رأينا مثلها الشاخص الحي في المجتمع الإسلامي في القرن الأول ، ووجدنا نظائره وأشباهه ، وبعض ملامحه وصوره في الأوفياء لدين الله في هذا العصر ، القابضين عليه بين جواذب الحياة وإغراءات المجتمع وسوط التعذيب كالقابض على الجمر .

مقياس الحضارة في الإسلام روح وقلب ، ومقياس الحضارة في الغرب حديد وصلب .

مقياسها في الإسلام مدى إيمان الفرد والجماعة وكيفية جهادها للرسالة التي تحملها ، والدعوة التي تحتضنها ، ومقياسها في الغرب وفي تلاميذ الغرب مدى مادية الفرد والجماعة ، ومستوى غناها وثروتها ومنطقة نفوذها وسيطرتها ، وصلاحية احتلالها واستغلالها .

مقياسها في الإسلام الإيثار وإنكار الذات ، ومقياسها في الغرب الأثرة وتعبد الذات ، مقياسها في الإسلام البر والمواساة ، ومقياسها في الغرب الأنانية واللامبالاة .

مقياسها في الإسلام قدسية الأهداف ، ونبل الغايات ، ومقياسها في الغرب مادية الأهداف ونفعية الغايات .

مقياسها في الإسلام العلم النافع ، والقلب الخاشع ، ومقياسها في الغرب تضخم المعلومات ووفرة الذخاير ، وتحجر القلب وقسوة الفؤاد .

---

[1] سورة يونس، الآية ٣٢ .

مقياسها في الإسلام تحقيق خلافة الله في الأرض ، وإجراء أحكامه وشرائعه في البشر ، والسير بالإنسانية على خط مستقيم نحو هدفها الحقيقي ومأمنها الأبدي وعيشها السرمدي ، ومقياسها في الغرب تحقيق نزوات الجسد . والحكم بالطاغوت ، والسير بالإنسانية على خطوط متفرقة نحو أهداف رخيصة ومتعة عاجلة ونعيم زائل ، وسراب خادع ، وسخط الله وعذابه في الأخير .

مقياسها في الغرب ، الأبيض والأسود ، والأحمر والأصفر ، والقاصي والداني ، والقريب والبعيد ، والقوي والضعيف ، والمالك والمملوك ، الغني والصعلوك ، ومقياسها في الإسلام (كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ من شَجَرَة مُّبَارَكَة زَيْتُونَة لاَّ شَرْقيَّة وَلاَ غَرْبيَّة يَكَادُ زَيْتُهَا يُضيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُّور يَهْدي ٱللَّهُ لنُوره مَنَ يَشَآءُ) [1] مقياسها في الإسلام (وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَآئلَ لتَعَارَفُوٓاْ ، إنَّ أَكْرَمَكُمْ عندَ ٱللَّه أَتْقَاكُمْ) [2] و " لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي إلا بالتقوى " ، مقياسها في الإسلام سلمان " الفارسي " وبلال " الحبشي " وصهيب " الرومي " مع أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، رضي الله عنهم أجمعين .

مقياسها في الغرب حلة فاخرة ونفس فاجرة ، ومقياسها في الإسلام نفس مطمئنة هادئة ، ومظهر نظيف متواضع ، ومقياسها في الغرب البحار والجبال والأنهار والجداول الصغار ، ومقياسها في الإسلام جنات عدن تجري من تحتها الأنهار ، ورضوان من الله وما عند الله خير للأبرار .

إنه مقياس وهو مقياس ، فلنقس هذا الانحطاط والتأخر في الغرب الذي يسمونه " حضارة " وهذا الجهل عن الحقائق والأهداف والعمي عن الدار الآخرة والحياة الخالدة ، الذي يسمونه " ثقافة " بهذا المقياس الخالد العادل الصريح الذي وضعه الإسلام في أيدي المسلمين لئلا يؤخذوا بالمظاهر الكاذبة والشعارات الزائفة ، واللافتات المزورة ، ويكونوا دائماً على ثقة واعتزاز بدين الله ومكانتهم في خلق الله .

(أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُ للإسْلاَم فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّه فَوَيْلٌ لِّلْقَاسيَة قُلُوبُهُمْ مِّن ذكْر ٱللَّه أُوْلَـٰئكَ في ضَلاَلٍ مُّبينٍ) [3] .

---

[1] النور ، الآية ٣٥ .

[2] الحجرات ، الآية ١٣ .

[3] الزمر ، الآية ٢٢ .

منهجان لمشيئة الله تعالى :

هناك منهجان لتطبيق مشيئة الله تعالى وإرادته : الأمر ، والخلق ، فالمنهج الأول يسير تحت نظام " كن فيكون " ، يقول الله تعالى كلمة " كن " إذا أراد أن يخلق شيئاً فيكون ذلك الشيئ ، أما المنهج الثاني الذي عبَّر عنه الله تعالى بالخلق ، فهو يسير حسب سنة الله ووسائله المتوافرة من عنده ، وقد كلَّف الله تعالى الناس لاختيار هذا المنهج ، فأكرمهم بنظام الوسائل والأسباب ، وكلف الأنبياء لها ، فكانوا يشاركون في الحروب ويكابدون فيها المشاق ، ثم ينالون الفتح والانتصار ، وإذا صدر في الحروب منهم تقصير واجهوا الفشل والهزيمة ، رغم أن الله تعالى إذا شاء حصل لهم الفتح بمجرد مشيئته ، وأحدث ذلك رعباً في قلوب الكفار ، بحيث إنهم ينهزمون أمامهم ، ولا يحاربونهم ، أو يمكن أن يمنحهم الله قوة تكسب لهم الفتح بحضورهم في الحروب ، لكن الله تعالى لم يفعل هذا وذاك ، بل أمر الناس باختيار نظام الأسباب ، الذي أجراه في هذه الدنيا ، وأخبرهم بأنه إذا كان هناك تقصير واجه المسلمون من الخسارة كما يواجه الكفار .

حكمة تكليف الإنسان :

خلق الله تعالى الإنسان ، وكلفهم لاختيار الأسباب ، ليرى أعماله ، وإذا أنجز الله كل شيئ ، ولم يصدر من الإنسان عمل ، ويتم كل شيئ من الغيب ، فلا يُعرف من عمل الإنسان هل هو صحيح أم خطأ ، فليس وراء نظام الذرايع إلا أن يختبر الله تعالى إيمان الإنسان وإخلاصه ، ويعرف المخلصين الذين يؤثرون رضا الله تعالى ، على أهوائهم ، وهم مستعدون لتقديم كل نوع من التضحية ، فيجزون وفقاً لهذا الإخلاص ، وإذا لم يثبت عن الإنسان : هل هو صالح أم سيئ ؟ فلا يكون عمل الجزاء ، لأن الله تعالى إذا أنجز كل شيئ من الغيب فلا

يستحق الإنسان أن ينال جزاء عمله .

إنه يعلم الجهر وما يخفى :

إن النظام الذي جعله الله وضعه عنده ، وهو نظام يخفى على الناس ، ويسير سيره الطبيعي ، لكن لا يعرف حقيقته أحد ، ويطلع الإنسان على ظاهره ، ويعتبره كل شيئ ، رغم أن الله تعالى يعلم الجهر وما يخفى ، ومثال ذلك أن رجلاً يسعى ويجهد ، ويتعب نفسه ، ويستعمل أعضاءه وجوارحه في إنجاز عمل ما ، فلو رآه أحد ظن أنه مخلص في عمله ، لكن الواقع أن نية ذلك الرجل ما هي ؟ وكيف يعمل هو ؟ لا يعلمه إلا الله تعالى ، وهو مسجَّل عند الله ، فلا يسجل عنده ظاهر العمل ، بل يسجل عنده ما يخفى وراء هذا العمل من نية صادقة أو كاذبة .

ومثال آخر : نحن نصلي بخشوع في الظاهر ويمدح الناس صلاتنا وعبادتنا ، فليس الظاهر هو الأصل ، بل الأصل اللافت للنظر هو أن ما وراء هذه الصلاة من نية ، فإن صلاتنا تأتي أمامنا يوم القيامة في صورة حسنة أو سيئة حسب نياتنا وإخلاصنا ، فعلم منه أن جميع أفعالنا في الصلاة تابعة لإخلاص النية أو إساءتها ، وقد ورد في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم : من صلى الصلاة لغير وقتها فلم يسبغ لها وضوءها ولم يتم لها خشوعها ، ولا ركوعها ولا سجودها ، خرجت ، وهي سوداء مظلمة ، تقول : ضيَّعك الله كما ضيعتني ، حتى إذا كانت حيث شاء الله لُفت كما يلف الثوب الخلق ، ثم ضرب بها وجهه. (المعجم الأوسط : ٣٠٩٥) .

الظاهر والباطن :

إن ما يجري في هذا الكون يستمر وفق ما أمره الله تعالى ، وكل ما نعمله في هذه الدنيا هو وجه ظاهر لهذا النظام ، وهو ما نراه ، ويدخل فيه عملنا ، لكن هناك نظاماً باطناً ، لا يعلمه إلا الله تعالى ، وهو الذي يقدر على تغييره وتبديله ، كما يظهر من قصة موسى والخضر عليهما السلام ، كسر الخضر عليه السلام جزءاً من سفينة الأجراء ، فيخيل للناظر إليه أن الخضر كسر سفينةً جديدةً وجميلةً ، لكن نظام الباطن يدل على أن الخضر أراد تفادي هذه السفينة من الملك الغاصب ، كذلك في قرية لم يستضفهما أهلها ، أقام الخضر عليه السلام جداراً ساقطاً

فيها ، كان في الظاهر عملاً حسناً ، لكن ما هو الهدف وراءه ، ولماذا فعله الخضر عليه السلام ، وليس لأحد علم بهذا ، هذا هو العمل الحكيم الذي إذا لم يخبر به الخضر سيدنا موسى عليه السلام ، لم يطلع عليه ، وكان موقوفاً عنده ، ذكر الله هذه القصة في القرآن الكريم أنه ليس كل شيئ في اختيار الإنسان ، ولا يمكن أن يطلع على تفاصيل الكون ، وقد خيَّره الله تعالى لإدارة نظام الكون الظاهر ، وإذا كان فيه شيئ يكرهه استبدله الله بشيئ أحسن منه ، فليس من الواجب فيه أن يطلع الإنسان على حكمة التغير والتبدل .

غاية النظام الدنيوي :

بعث الله تعالى الإنسان إلى هذه الدنيا للامتحان ، فجعل نظام الدنيا في صورة ينخدع منها الإنسان ، حتى إذا لم تكن نيته صالحة يصاب بسوء الظن ، مثال ذلك أن حب الدنيا تغلغل في أحشاء الناس ، وضعفت فيهم فكرة الآخرة ، فلم تكن عندهم فرصة لترقب الآخرة ، وقد سرى هذا المرض في الطبقة الارستقراطية إلى حد لا بأس به ، ولم يخطر ببالهم أبداً ما ذكر الله تعالى من أمور الآخرة في القرآن الكريم ، الواقع أن الإنسان إذا وضع نصب عينه فكرة الآخرة حرم لذة الطعام والشراب ، وزال عنه رواء المادية وبهجتها ، ومعلوم أن الإنسان إذا عرف أن هناك حياة يجزى فيها الإنسان على سوء أعماله ، ويوفر له من الطعام العفن ، فكيف تكون حياته مطمئنة ، لا يهنأ له عيش ، ولا يمرأ له طعام ، لكن الإنسان لا يفكر شيئاً في شئون الآخرة ، وإذا تناول فكرة الآخرة وفكر فيها لحظة اعتبر من رجال الدين والصلاح .

سيطرة على نظام العالم :

إن ما ذكر الله في هذه السورة من قصص ، تدل على أن نظام العالم لا يجري بإدارة الناس ، ولا بتدابيرهم ، وإن كان الله قد أمر الناس باختيار التدابير ، لكن لا بد للإنسان أن يفكر من هذه الناحية أن هذه التدابير كلها بيد الله تعالى ، وكل ما يقع في هذا العالم يقع بأمره ، فيخطئ كل من يعتقد أن الله تعالى خلق العالم ثم استراح ، أو خلق العالم ووكله إلى آخرين ، هذه الفكرة تنشأ في أذهان الناس عامة ، لأن النائبين في الحكومات والإمارات ينجزون عامة جميع الأعمال ، ويكون

بأيديهم كل شيئ من أمور الحكومة ، لكن نظام الله لمختلف جداً من النظام الدنيوي ، ليس بينه وبين الإنسان وساطة ولا وسيلة ، كل إنسان يتصل مباشرة بالله ، حتى الأنبياء ليسوا وسائط بين الله وعباده ، وقد أمر كل عبد أن يسأل الله عز وجل جميع ما يريد ، فالله تعالى رحيم وكريم ، يسمع كلام كل إنسان ، ويمد هؤلاء وهؤلاء من عطائه ، وقد جعل الله للسؤال منه أكبر وسيلة ، وهو الدعاء ، فعلى كل من يريد إنجاز أمر أن يسأل الله عز وجل ، ولا يتسكع في غياهب الظلام ولا يعتقد عن الآخرين أنهم يحملون قوة وتأثيراً مثل الله تعالى ، وليعلم أن الأمة لا تستطيع أن تضر أحداً إذا لم يشأ الله تعالى ، ومعلوم أن كل شيئ في هذه الدنيا يتم بنظام وترتيب ، فالله تعالى يوجه الإنسان إلى هذا النظام ، فليس معنى ذلك أن هذا النظام مؤثر للغاية ، بل خلق الله هذا النظام ، وهدى الإنسان إليه ، وهو يعرفه بعقله وتجربته ، فلا بد من استحضار هذا الفرق أن نظام الذرائع في جانب ، وأمر الله تعالى في جانب آخر ، ويكون قضاء الله تعالى في كل ذريعة ، وتكون الذريعة تابعة لقضائه .

مخلوقات الله تعالى :

الماء والهواء خلقهما الله تعالى ، فإذا زادهما من مقدارهما كانا مصيبةً ، وإذا نقص منهما ماتت المخلوقات عطشاً ، وقد ورد عن الماء والسحاب أن الله يأمر الملائكة ، فيذهبون بالسحاب وتمطر السحاب حيثما شاء الله ، لكننا نظن أن السحاب جاء فجاءةً ، وأمطر الماء ، أو نظن أن المطر نزل بالفصول السنوية ، رغم الله تعالى هو الذي قرَّر كل شيئ من عنده .

ابتغاء وجه الله تعالى :

أخبر الله تعالى الإنسان في ضوء القصص القرآنية أنه إذا قضى حياته ابتغاء مرضاة الله حالفه نصر من الله ، وبارك في علم الوسائل والأسباب ، أي أن شيئاً قليلاً كفى لكثير من الناس ، وتتبدل الأوضاع ، والله قادر على أن يبدِّل الأوضاع بدون وسيلة ، هذا ما نسميه معجزة أو آيةً من الله ، ولا تنزل المعجزات عامة ، لأن هذه الدنيا دار امتحان ، وقد جعل الله الإنسان تابعاً للوسائل لمعرفة مدى إيمانه بالله وتوكله عليه ،

وأحياناً يرى الإنسان أن وسيلةً فلانيةً تناسب لهذا العمل ، وأن رجلاً فلانياً أجدر به ، أو أن دواءً خاصاً أنسب لهذا المرض ، أو أن طبيباً أصلح في معالجة هذا المرض ، ورغم ذلك كله إذا اعتقد إنسان أن الله تعالى هو الفاعل الحقيقي ، وهو الذي أودع فيه تأثيراً ونفعاً ، وهو الذي دبَّر الأمور كلها ، ولا يزال يدبر أفلح ونجح في الامتحان .

ليس من الميسور أن ينجح الإنسان في اختباره عند السراء والضراء ، إذا كانت الأحوال معقدة صعب على الإنسان العمل بمتطلبات الإيمان ، وإذا كانت سهلة وقع الإنسان في حبالة الوسائل والأسباب ، وضعف إيمانه ، واعتقد أن النظام كله يجري على أساس الوسائل ، لأنه تابع بذاته للأسباب ، مثال ذلك لو أن رجلاً ادعى أنه يسوق سيارته بدون النفط أو البنزين ، فلا يمكن ذلك ، وإن اشتغل بالدعاء ، لا تتحرك السيارة ولا الدراجة ، فالإيمان يتطلب منه أن يؤمن بقدرة الخالق المطلق ، ويؤقن بأن الله قادر على إحداث أمر خرقاً للعادة ، فإذا شاء ساق السيارة بدون النفط ، وكل نظام بيده ، فإذا علمنا عملاً لابتغاء مرضاة الله تعالى ، حصل لنا نصره وتأييده من الغيب على أحسن صورة ، وإذا ارتكبنا معصيةً فإنه يؤاخذنا في الآخرة التي هي دار الحساب ، ونحن نصرخ ونصيح ، لكن لا يُسمع كلامنا ، بل يقال : ذوقوا بما كنتم تعملون ، ذكر الله تعالى في القرآن الكريم مراراً وتكراراً هذه الحقائق لئلا ينخدع الإنسان من الوسائل الظاهرة .

لا تنخدعوا من الظاهر :

إذا رأى الإنسان من ظاهر عينيه خُيل إليه أن كل ما حدث ويحدث في العالم يجري من دون إله ، على أساس الأسباب الدنيوية ، وهذا ما يتجلى من ظاهر الأمر ، مثال ذلك إذا ضربت أحداً شعر بألم ، ويقال : ضربه أحد فأصيب به ، لكن لماذا ضرب ، ومن الذي أمره بالضرب ، فامتثل لأمره ؟ فإذا لم تكن هذه الصورة ظن الإنسان أنك ضربته بنفسك ، لكن يمكن أنك لم تضربه بنفسك ، بل ضربته بأمر من سيده ، فإذا ظننت أن الضارب يضرب بنفسه ، كنت ساخطاً عليه ، وإذا ظننت أن رجلاً أمره بضرب أحد ، فازداد غضبك عليه .

مثال آخر أن فلاناً أهدى إلى شخص هديةً ، وذلك بأمر من رجل ، أو أعطاه أحد لإيصاله إلى أحد ، فيظن المهدى إليه أن هذا الرجل يهدي

إليه ، فيكون شاكراً له ، لكن إذا علم أنه لا يهدي إليه بنفسه ، بل هو واسطة بينهما ، فلا يكون المهدي إليه شاكراً للواسط .

إن نظام العالم يجري بهذا الترتيب ، وكل شيئ يكون بأمر من الله ، لكن الله تعالى جعل له وسائل وذرائع ، ونحن ننظر إليها ، ولا ننظر إلى الله ، فنظن أن كل شيئ يجري بالوسائل والذرائع ، أي نعتبر الوسائل أصلاً وغاية ، والله هو الخالق والمالك لهذا الكون ، لكن الله أخفى هذا الأمر ، ليبلو الإنسان ، وإذا علم الإنسان أن كل شيئ من الله ، واعتقد به اعتقاداً جازماً ، ما عصى الله قط ، وإذا علمنا نحن وآمنا به ما عصيناه ، لأن هذه حقيقة أن إنساناً لا يدخل في النار بنفسه ، وهو يعلم أن النار تحرقه ، فالعلم هو الأصل ، وقد أخفاه الله تعالى ، وكان هذا الإخفاء ليؤمن الإنسان بقول النبي المرسل ، ويعتقد أن كلامه حق ، فإذا لم يؤمن الإنسان بالنبي ولا بكلامه ولا بنبوته ، وما قال النبي من أن الإنسان يحاسب في الآخرة ، فليكن مستعداً لمحاسبته ، فإذا كان عمل الإنسان وفق شريعة الله كان حسابه سهلاً ، وإذا لم يكن كذلك خسر خسارة كبيرة ، فإذا لم يؤمن الإنسان بهذه الأمور لا يكون إيمانه كاملاً .

وقال الله تعالى في القرآن الكريم : (فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ . وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ) ، لا شك أن الإنسان إذا آمن بهذا الواقع لا يأثم ولا يذنب ، لكن لا يؤمن الإنسان به فيكون مرتكباً للمنكرات والفواحش ، وقد أرسل الله الأنبياء والرسل لبيان هذه الحقيقة ، فينظر الله إلى الإنسان : هل دخل في عقله هذا الاعتقاد ، أو تغلغلت وسائل الدنيا فيه ، فلو وضع إنسان إصبعه على سكين ، وكان السكين في يد إنسان آخر ، فأيقن بأنه إذا حرَّك السكين قطعها ، لكن إذا لم يضع إصبعه عليه ، بل يهدده صاحب السكين بقطع إصبعه فلا يؤقن بكلامه ، فإذا لم يكن عند الإنسان يقين وإيمان لا يكون مطيعاً كاملاً لأوامر الله تعالى ، وقد جعل الله تعالى هذه الدنيا زينة لها ، ليمتحن الإنسان ، قال تعالى : (إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُم أَحْسَنُ عَمَلاً) (الكهف : ٧) ، ومعنى زينة الحياة الدنيا هو أن ننظر من أن يعمل الإنسان عملاً صالحاً رغم مغريات الدنيا ، ويطيع الله إطاعة كاملة ، والدنيا مملوءة باللذات والمنافع والشهوات في جانب ، وفي جانب آخر أمر الله عز وجل ونظامه المحكم ، وذلك ليعرف من يقع فريسة للشهوات ، ومن يعبد الله تعالى.

المشتركات الإنسانية بين رفضها واتخاذها وسيلة من وسائل الدعوة

د . حبيب الناملیتي (البحرين)

فطر الله الإنسانية على سماتٍ عامَّة ، وهي ما يُعبَّر عنها بالمشتركات الإنسانية التي يجتمع الناس على تعظيمها واحترامها على مدار العصور ، وهذه المشتركات تُمثِّل قاعدةً صُلبةً وأرضيَّةً مُوَحَّدَةً للناس كافَّةً ، فمهما اختلفت الثقافات والديانات ، وتعدَّدت اللغات ، وتباعدت الدِّيار ، إلا أنَّها تجتمع على كُلِّيَّاتٍ لا يُحَاد عنها إلا في حالاتٍ استثنائيّةٍ وظروفٍ قاهرة ، أو مِن قِبَل فئةٍ قليلةٍ يُمثلون خروجاً عن القاعدة .

إن المشتركاتِ الإنسانيةَ قد يُنظر إليها من جانبٍ سلبي ، وذلك بالدعوة للتنازل عن المبادئ الدينية والاندماج الكلي مع الآخرين وجَعْلها بديلاً عن الوَحي المنزل ، كما يمكن أن يُنظر إليها أيضاً من جانبٍ إيجابي على أنها مدخلٌ مهمٌّ للتواصل مع الآخرين من المِلَل والأمم ، وتعريفهم بالإسلام وتعاليمه ، وإنْ وقعَ الاختلاف في عَدِّ بعضها من المشتركات ؛ للاختلاف في الضابط لها ، إلا أنني أُورد هنا أظهرَها وأشهرَها ، وكيف يمكننا أن نجعلها وسيلةً من وسائل الدعوة :

المشترك الأول : الأخلاق الفاضلة ، وهي الصفات الراسخة في النفس ، التي تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر ، والشريعة الإسلامية رسالة أخلاقية متكاملة ، وربطها بمراقبة الله ، والجزاء الأخروي . ومن أصول الأخلاق التي دعت إليها الشريعة : الصبر الذي يحمل صاحبه على الحلم ، والصفح ، والعفة التي تحمل صاحبها على الصدق واجتناب الرذائل ، والشجاعة التي تقود للإقدام على الخير ، والعدل بوضع الأشياء في موازينها الصحيحة . وغنيٌّ عن البيان ما احتفت به هذه الأخلاق من الترغيب فيها والحثِّ عليها ، وهي محترمة معظمة عند البشرية جمعاء ، وإن حصل نقص أو عجز في التطبيق .

وفي امتثال هذه الأخلاق الراقية كسبٌ لقلوب الناس ، وارتقاءٌ بسلوكياتهم ومعاملاتهم ، ولقد تخلَّقها قدوتُنا العظمى ، وأسوتنا

الحسنة ؛ نبيُّنا محمَّد صلى الله عليه وسلم ، وقام بها خير قيامٍ في أقواله وأفعاله كافَّة ، وعُرف بالصدق والأمانة والعفة والعدل ، فكانَ على خلق عظيم ؛ على خُلُق القرآن والإسلام ، وبذلك صارت أخلاقه منطلقاً للدعوة ، ودستوراً للدعاة ، وكذلك مَن سار على نهجه من الصحابة والتابعين والمرَبِّين والمصلحين .

المشترك الثاني : سعيُ الناس لتلبية احتياجاتهم الأساسيَّة ؛ كتوفير الغذاء واللباس والمسكن ؛ لأنَّ الإسلام يحضُّ على الكسب الطيِّب ، وينظم من التشريعات في النظام الأسري ما يحقق هذه الأساسيات ؛ فَرَبُّ منزل يتحمل هذه المسئولية ، فإن عجز عنها فإن المجتمع يتكاتف فيما بينه لتوفير ذلك للمحتاجين دون النظر إلى دينهم .

والاعتناء بهذا المشترك والمشاركة فيه مع المنظمات الدولية ، والاستجابة لنداءات الاستغاثة في حال الكوارث والمجاعات من المنطلقات للدعوة ؛ فإنَّ عدمَ توفير هذه الاحتياجات يجعل بال الإنسان مضطرباً ، وذهنه مشتَّتاً فيغدو عاجزاً عن الاستجابة للدعوة ؛ لذلك جُعِلت الصدقة في الإسلام من الأبواب العامة ، بل ذهب جماعة من أهل العلم إلى استحقاق بذل الزكاة لغير المسلمين من صنفِ المؤلفة قلوبهم ؛ ومن ذلك توفير النبي صلى الله عليه وسلم الطعام لأبي ذرٍ رضي الله عنه – بقدر الموجود – عند مكثه شهراً في مكةَ ، ولمَّا جاء قومٌ حفاةٌ عراةٌ تمعَّر وجهه صلى الله عليه وسلم لما رأى عليهم من آثار الفقر ، فحث المصلين على الصدقة ، حتى اجتمع عنده طعام وثياب كثير ، فتهلل وجهه .

المشترك الثالث : العقل ، وهو غريزة يتهيأ بها الإنسان لفهم الخطاب ، والاستعداد الفطري في الإنسان لإدراك الأشياء ؛ لذلك حث الإسلام على احترامه والاحتكام إليه وفق معيار الشرع المطهَّر ، وجعله من الضرورات الكبرى ، وارتكزت منهجيّته في مخاطبة عقول المخالفين على طرح الموضوعات التي يقبلها العقل بشكل عام ؛ حيث إنَّ هناك أموراً لا تقبلها إلا شريحة من الناس تبعاً لخلفياتهم الاعتقادية ، وقدراتهم على الفهم والاستيعاب ، وهناك أمور أخرى لا يفقهها ولا يقبلها جميع الناس ، فهذه لا ينبغي الحديث عنها عندهم ؛ كما قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه : " حدثوا الناس بما يعرفون ؛ أتحبون أن يكذَّب الله ورسوله " ، وقال ابن مسعود رضي الله عنه : " ما أنت بمحدث قوماً حديثاً

لا تبلغه عقولهم ، إلا كان لبعضهم فتنة " .

ومن ناحيةٍ أخرى ، دعت الشريعة الإسلامية إلى إعمال العقل للوصول إلى فهم الحقائق ، والتحرر من التقليد ، وذلك في نصوص كثيرة ، وختمت آيات كثيرة في القرآن بقول الله تعالى : (أَفَلَا تَعْقِلُونَ) [آل عمران : ٦٥] ، ومن ذلك : قوله تعالى : (وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) [النحل : ١٢] ، فالعقل والحجج والبراهين أقرب وأسهل الطرق للتواصل مع مختلف الشرائح .

المشترك الرابع : التسامح ، كمساحة واسعة للتنوع والاختلاف ، وعدم الاتحاد في الرغبات ، والتفاوت في الإمكانات ، بيدَ أنَّ ذلك وفق ترتيب منظَّم ، وترابط مُحكَم ، ومن ينظر في التشريعات الإسلامية يلمس عظمة هذا النظام وصلابته ؛ فقد رفع الإسلام راية التسامح مع الآخرين ، والذي يقصد به وفق " معجم (وبستر) تعنى لفظة Tolerance استعداد المرء لتحمل معتقدات وممارسات وعادات تختلف عما يعتقد به " ، حيث لم تعرفه المجتمعات الغربية إلا في قرونٍ متأخرةٍ من تاريخها ، ولا يقف التسامح في المفهوم الإسلامي على الشعارات بقدر كونه ممارسة ، فيرفض الإسلام جميع أشكال التمييز العنصري للآخرين سواء كان بسبب اللون أو الأصل أو الجنس ، ويحترم التعددية والتنوع في المعتقدات ، بالرغم من تصريحه وإعلانه بأنَّ الحق واحدٌ ، بل سمح لمن يختلفون مع المسلمين في الدين بالعبادة حسب دياناتهم ، وأتاح لهم تنظيم علاقاتهم الاجتماعية وتعاملاتهم الخاصة .

ومهما وقع من اختلاف فإنَّ حبل الاحترام هو الحلقة الواصلة بين الجميع ، ولم يقف الإسلام على احترام المسلم فقط ، بل جعل لغة الاحترام المنبثقة من التكريم الإنساني هي السائدة في الخطاب الإسلامي ، فقد خاطب النبي صلى الله عليه وسلم الملوك بخطاب يليق بهم ، كما راعت الشريعة حرمة السفير والأسير ؛ إذ كل إنسان يشعر بحاجته إلى الاحترام ؛ فإن الانتقاص يورث الانقباض ، وقد يقدم الإنسان كرامته على حاجاته الأساسية .

هذه بعض المشتركات الإنسانية التي ينطلق منها الداعية إلى الله ، لتكون أرضيَّةً موحَّدةً للتواصل والتعريف بالدين الإسلامي الحنيف ، وقِيَمه العظيمة ، ومبادئه السامية ، ورسالته الخالدة .

مفهوم الإعجاز التأثيري للقرآن الكريم

(الحلقة الثانية الأخيرة)

الأستاذ محمد نعمان حسن *

استماع إلى تلاوة القرآن الكريم ونتائجه :

ومن تأثير القرآن على نفوس الكافرين أنهم كانوا يستمعون تلاوة القرآن ، حيث روى التاريخ أن الإحساس بتأثير القرآن الكريم كان يجلب رؤساء هؤلاء المعاندين ليلاً لاستماع تلاوة النبي صلى الله عليه وسلم في بيته ، على ما كان من نهيهم عن سماعه وتواصيهم بذلك . كما هو مذكور في أحاديث رويت عند أبي جهل وأبي سفيان والأخنس بن شريق عندما كانوا يجتمعون لاستماع تلاوة النبي صلى الله عليه وسلم [1] ، وقصة معروفة ومروية في كتب السير والتاريخ .

ثانياً : تأثير القرآن الكريم على نفوس المسلمين :

إذا كان القرآن الكريم أثّر على المشركين عبدة الأوثان بشدة ، فالأولى والأجدر أن يؤثر على قلوب المؤمنين الذين هم عبدة الرحمن وأولياؤه ، فمن مظاهر تأثير القرآن الكريم على المؤمنين :

(١) البكاء :

فالمؤمنون إذا تتلى عليهم القرآن الكريم فلا يتمالكون أنفسهم فتنهمر الدموع من أعينهم ويبكون حباً للقرآن وتأثراً بأسلوبه المحبب إلى النفوس . يقول الله تعالى بعد أن تحدّث عن بعض الأنبياء والرسل في سورة مريم : (إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا) [2] ، فهؤلاء إذا سمعوا كلام الله المتضمّن حججه ودلائله وبراهينه سجدوا لربّهم خضوعاً

---

* أستاذ مساعد ، قسم علوم القرآن والدراسات الإسلامية ، الجامعة الإسلامية العالمية شيتاغونغ ، البريد الإلكتروني : numanhasan2000@gmail.com

[1] ابن هشام ، عبد الملك بن هشام أو هو أبو محمد عبد الملك ابن هشام بن أيوب الحميري ، كاتب سير ومؤرخ بصري ، وكان عالماً بالأنساب واللغة وأخبار العرب ، عاصر ابن هشام الشافعي والتقى به في مصر ، السيرة النبوية ، ابن هشام ، مطبعة محمد علي صبيح سيرة ابن هشام ج ١ ، ص٣٣٧ إلى ٣٣٨ ؛ الإعجاز القرآني ، وجوهه وأسراره ، د . عبد الغني محمد سعيد بركة ، مكتبة وهبة الطبعة الأولى ، ١٩٨٩م .

[2] القرآن الكريم : سورة الإسراء ، الآية ٥٨ .

واستكانةً حمداً وشكراً على ما هم فيه من النعم العظيمة ، فلهذا أجمع العلماء على شرعية السجود هاهنا اقتداءً بهم وإقراراً لأطرازهم ، ولما تلا عمر بن الخطاب رضي الله عنه سورة مريم سجد ، وقال : " وهذا السجود فأين البكيّ " يريد البكاء [1] .

وعلّق سيد قطب على هذا : " أولئك النبيّون ومعهم من هدى الله واجتبى من الصالحين من ذرّيتهم صفتهم البارزة (إذا تُتلى عليهم آياتُ الرَّحمنِ خرُّوا سُجداً وبُكياً) [2] ، فلا تسعفهم الكلمات للتعبير عما يخالج مشاعرهم من تأثّر ، فتفيض عيونهم بالدموع ويخرّون سجّداً وبكيّاً " [3] . ويقول أبو السعود : " هنا بيان خشيتهم من الله تعالى وخوفهم له مع مالهم من علو الرتبة وسمو الطبقة في شرف النسب وكمال النفس والزلف من الله عزّ سلطانه خرّوا ساجدين باكين " [4] .

ومن الأمثلة على تأثيره لسماع القرآن ، وبكائه للإصغاء إلى القرآن ما ورد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : اقرأ عليّ ، قلت : أقرأ عليك وعليك أنزل ؟ قال : نعم إني أحب أن أسمعه من غيري ، فقرأت سورة النساء ، حتى أتيت على هذه الآية (فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا من كُلِّ أُمَّة بشَهيد وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا) [5] ، فقال : حسبك الآن . . . فإذا عيناهُ تَذرفَان [6] .

---

[1] ابن كثير ، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضَوْ بن درع القرشي الحصْلي ، البُصروي ، الشافعي ، ثم الدمشقي ، مُحدّث ومفسر وفقيه ولد بمجدل من أعمال دمشق سنة ٧٠١هـ ، وتوفي سنة ٧٧٤هـ ، تفسير القرآن العظيم، ج ٣ ، طبعة ، دار الحديث القاهرة ، ١٩٩٤م ، ص ١٢٧ .

[2] القرآن الكريم : سورة المريم ، الآية ٥٨ .

[3] سيد قطب ، إبراهيم حسين الشاذلي المعروف بسيد قطب ، ولد ٩ أكتوبر ١٩٠٦م، وتوفي ٢٩ أغسطس ١٩٦٦م ، في ظلال القرآن ، ج ٤ ، طبعة : مكتبة دار الشروق ، سنة ١٤٢٣هـ ، ص ٢٣١٤ .

[4] العمادي ، أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، المعروف بتفسير أبي السعود الإمام أبو السعود ، ج ٥ ، طبعة : دار إحياء التراث العربي ، سنة ٢٠١٥م ، ص ٢٧١ .

[5] القرآن الكريم : سورة النساء ، الآية ٤١ .

[6] السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، ج ٢ ، الناشر : مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية ، سنة ١٤٢٤هـ ، ص ٥٤١ .

فنرى تأثير القرآن الكريم في نفوس الصحابة تأثيراً عظيماً قادهم إلى الانتقال من الشرك والكفر والجاهلية إلى ظل الإسلام . ومن أوضح الأمثلة على ذلك سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي كان سبب إسلامه سماعه القرآن الكريم .

(٢) الوجل في القلوب :

الوجل في القلب وهو الخوف مع التعظيم ، ولا يكون إلا لله عز وجل . لقد أحرز المؤمنون عند ربهم درجة عالية رقيقة لتأثّرهم بالقرآن الكريم ، تأثّراً عمليّاً صادقاً ، له نتائجه في واقع حياتهم وحياة مجتمعهم ، يقول الله تعالى : (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ)[١] . يقول سيد قطب مبيّناً هذه المظاهر : " والقلب المؤمن يجد في آيات هذا القرآن ما يزيده إيماناً ، وما ينتهي به إلى الطمأنينة " ، إن هذا القرآن يتعامل مع القلب البشري بلا واسطة ولا يحول بينه وبين القلب شيئ إلا التمرد والطغيان الذي يحجبه عن القلب ، ويحجب القلب عنه ، فإذا رفع هذا الحجاب بالإيمان وجد القلب حلاوة هذا القرآن ، ووجد في إيقاعاته المتكررة زيادة في الإيمان تبلغ إلى الاطمئنان ، وكما أن إيقاعات القرآن على القلب المؤمن تزيده إيماناً ، فإن القلب المؤمن وهو الذى يدرك هذه الإيقاعات التى تزيده إيماناً[٢] .

(٣) اطمئنان القلوب :

قراءة القرآن الكريم تبعث الطمأنينة في قلب المسلم ، ولذلك فهي الأجدر أن تحصل بها طمأنينة القلب ، ومن عظمة القرآن الكريم وفضله وبركته أنه ربما يحصل به الخشوع وطمأنينة القلب لمن لم يفهم معناه عند تلاوته أو سماعه ، وأما من يقرأ القرآن بدون تدبر فلا يمكن أن يقال : إنه كمن لم يقرأه أصلا لأن قراءة القرآن كلها فيها خير وبركة ، وهذا الخير يتفاوت باختلاف القارئين وكيفية قراءتهم ، أما من لم يقرأ القرآن فإنه يحرم نفسه بالكلية من هذا الخير .

إن طمأنينة القلوب وسكونها مرحلة تأتي بعد إيمان عميق ، وسماع واعٍ وتدبّر للقرآن ، فإذا عاشت القلوب على هذا المنوال تصل إلى

---

[١] القرآن الكريم : سورة الانفال ، الآية ٢ .

[٢] سيد قطب ، إبراهيم حسين الشاذلي المعروف بسيد قطب ، ولد ٩ أكتوبر ١٩٠٦م، وتوفي ٢٩ أغسطس ١٩٦٦م ، في ظلال القرآن ، ج ٣ ، طبعة : مكتبة دار الشروق ، سنة١٤٢٣هـ ، ص ١٤٧٥ .

مرحلة من الاطمئنان إلى وعد الله في كتابه الذي لا تحرّكه الزلازل ، إنها القلوب المطمئنّة التي بلغ فيها القرآن مبلغاً من التأثير فقال تعالى : (الَّذينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) [1] ، أي هؤلاء تطمَئن قلوبهم علَى الدوامَ بَذكَرَ اللّهَ ، لأنهَا تسَكن وتستأنس بتوحيد الله فتطمئن ، وقال مجاهد وقتادة : تطمئن قلوبهم بالقرآن الكريم [2] .

يقول الآلوسي : إن قلوبهم تستقر وتسكن بذكر الله أي بكلامه المعجز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وسبب سكون قلوبهم بذاك علمهم أن لا آية أعظم [3] . ويقول سيد قطب رحمه الله : ذاك السكون والطمأنينة بذكر الله في قلوب المؤمنين حقيقة عميقة يعرفها الذين خالطت بشاشة الإيمان قلوبهم فاتصلت بالله يعرفونها ، ولا يملكون بالكلمات أن ينقلوها إلى الآخرين الذين لم يعرفوها لأنها لا تنقل بالكلمات ، إنما تسري في القلب فيستروحها ويهش لها ويندى بها ويستريح إليها ويستشعر الطمأنينة والسلام [4] .

(٤) سجود وخشوع :

إن تأثرات القرآن الكريم في القلوب تزداد فيجعلها طيعةً لأوامره ، منقادةً لإشارته مستلهمة لما فيه تخشع أجسادهم في سجود ، وتلهج ألسنتهم بتذكير الله ، وتنشق لأجل قيام الليل أقدامهم في قيام الليل والناس نيام ، وتفيض أنفسهم قبل أيديهم بالإنفاق في سبيل الله . قال تعالى : (إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ، تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ) [5] .

قَال ابن كثير : " إنما يؤمن بآياتنا أي يصدّق بها الذين استمعوا لها وأطاعوها قولاً وفعلاً وسبّحوا بحمد ربّهم وهم لا يستكبرون عن

---

[1] القرآن الكريم : سورة الرعد ، الآية ٢٨ .

[2] الطبريّ ، جامع البيان عن تأويل القرآن ، لأبي جعفر محمد بن جرير ، ج ٩ ، مطبعة مصطفى البابي ، الطبعة الثانية ، ص ٢٥ .

[3] الآلوسي ، محمود شكري الآلوسي البغدادي شهاب الدين ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، ج ١٣ ، دار إحياء التراث العربي ، سنة ٢٠٠٨م ، ص ١٤٩.

[4] سيد قطب ، إبراهيم حسين الشاذلي ، ولد ٩ أكتوبر ١٩٠٦م ، وتوفي ٢٩ أغسطس ١٩٦٦م ، في ظلال القرآن ، ج ٤ ، طبعة : مكتبة دار الشروق ، سنة ١٤٢٣هـ ، ص ٢٠٦٠ .

[5] القرآن الكريم : سورة السجدة ، الآية ١٥ – ١٦ .

إطاعتها والانقياد لها . تتجافى جنوبهم عن المضاجع : يعني بذلك قيام الليل وترك النوم والاضطجاع على الفرش الوطيئة يدعون ربّهم خوفاً من وبال عقابه وطمعاً في جزيل ثوابه " [1] .

ويقول سيد قطب : " وهي صورة وضيئة للنفوس المؤمنة اللطيفة المرتجفة من خشية الله وتقواه ، المنحنية إلى ربّها بالطاعة المتطلّعة إليه بالرجاء ، في غير ما استعلاء ولا استكبار ، هذه الأرواح هي التي تؤمن بآيات الله وتتلقاها بالحس المتوفّر والقلب المستيقظ والضمير المستنير " [2] .

هذه أهم مظاهر تأثّرهم بالقرآن الكريم إذا سمعوا آياته بادروا بالسجود له مسرعين ، وتواضعوا واستكانوا وقاموا في الليل يخشون العذاب يرجون الثواب ، وكلّ هذه خلال لذواتهم وتزكية لنفوسهم ، وأما لغيرهم ولمجتمعهم ، فقد أثّر القرآن في تصرّفهم ، فجعل أيديهم سخاء بالإنفاق مما رزقهم الله . ويقول إسماعيل البرسوي : " ألم يجيء وقت أن تخشع قلوبهم لذكره تعالى وتطمئن به ويسارعوا إلى طاعته والامتثال لأوامره والانتهاء عما نهوا عنه من غير توان ولا فتور " [3] .

(5) قشعريرة الجلود :

القشعريرة : ظاهرةٌ فيسيولوجيّةٌ تؤدّي إلى تقلّص عَضلات دقيقة ترتبط بكلّ شعرة من شعر المنطقة المُصابة بها ، ذلك ما يؤدّي إلى وقوف الشعرة ، عندما يبكي المسلم من خشية الله ويقشعرّ بدنه من عظمة وعده ووعيده ، يتمنى الواحد منا أن يصبح مثله أو أن يكون مكانه فما يتبع ذلك البكاء والقشعريرة إلا لين في القلب وانكسار لجلال الله وانشراح في الصدر ليس له مثيل ، يقول الله تعالى عن القرآن العظيم : (اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ

---

[1] ابن كثير ، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير ، ولد بمجدل من أعمال دمشق سنة ٧٠١هـ ، وتوفي سنة ٧٧٤هـ ، تفسير القرآن العظيم ، ج ٣ ، طبعة : دار الحديث القاهرة ، ١٩٩٤م ، ص ٤٥٩ .

[2] سيد قطب ، إبراهيم حسين الشاذلي ، ولد ٩ أكتوبر ١٩٠٦م ، وتوفي ٢٩ أغسطس ١٩٦٦م ، في ظلال القرآن ، ج ٥ ، طبعة : مكتبة دار الشروق ، سنة ٢٨١٢هـ ، ص ١٤٧٥ .

[3] الآلوسي ، محمود شكري الآلوسي البغدادي شهاب الدين ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، دار إحياء التراث العربي ، ج ٤ ، سنة ٢٠٠٨م ، ص ٢٣٧ .

اللَّهُ فَمَا لَهُ منْ هَاد) [1] .

فالقرآنً بشهادة الحق تبارك وتعالى أحسن الحديث ، وهو الذي تقشعر منه جلود الذين يخشون ربّهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ، وهو هدى الله تعالى يهدي به من يشاء من عباده ، وأما الذين يصدفون عن آيات الله ويتركونها وراء ظهورهم فقد قال الله فيهم : (فَمَنْ أَظْلَمُ ممَّن كَذَّبَ بآيَات اللَّه وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذينَ يَصْدفُونَ عَنْ آيَاتنَا سُوءَ الْعَذَابَ بمَا كَانُوا يَصْدفُونَ) [2] .

ويقول د . وهبة الزحيلي : " إن الله نزّل أحسن الحديث وهو القرآن الكريم لما فيه من الخيرات والبركات والمنافع العامّة والخاصّة وهو كتاب يشبه بعضه بعضاً في مجال النظم وحسن الإحكام والإعجاز ، إذا ذكرت آيات العذاب اقشعرّت جلود الخائفين لله ، وتضطّرب النفس وترتعد بالخوف مما فيه من الوعيد ثم تسكن وتطمئنّ عند سماع آيات الرحمة [3] .

وورد عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت : " كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إذا قرئ عليهم القرآن كما نعتهم الله تدمع أعينهم وتقشعرّ جلودهم ، ذُكِرَ لها : إن ناساً اليوم إذا قرئ عليهم القرآن خرّ أحدهم مغشيّاً عليه " [4] .

(٦) فيض الدموع :

ومن تأثير القرآن على النفوس سيل الدموع بغزارة عند سماعهم منصتاً له ، كما ذكر الله تعالى : (لَتَجدَنَّ أَشَدَّ النَّاس عَدَاوَةً للَّذينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً للَّذينَ آمَنُوا الَّذينَ قَالُوا إنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلكَ بأَنَّ منْهُمْ قسِّيسينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبرُونَ . وَإذَا سَمعُوا مَا أُنزلَ إلَى الرَّسُولَ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفيضُ منَ الدَّمْع ممَّا عَرَفُوا منَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهدينَ) [5].

يقول سيد قطب : " فهذا مشهد حي يرتسم من التصور القرآني لهذه الفئة من الناس ، الذين هم أقرب مودّة للذين آمنوا ، إنهم إذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول من هذا القرآن اهتزّت مشاعرهم ولانت قلوبهم

---

[1] القرآن الكريم : سورة الغافر ، الآية ٢٣ .

[2] القرآن الكريم : سورة المائدة ، الآية ١٥٧ .

[3] الزحيلي : د . وهبة بن مصطفي الزحيلي ، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، د . وهبة الزحيلي ، طبعة : دار الفكر ، سنة ٢٠١٠م ، ج ٢٣ ، ص ٢٧٩ .

[4] الآلوسي : محمود شكري الآلوسي البغدادي شهاب الدين ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، ج ٩ ،دار إحياء التراث العربي ، سنة ٢٠٠٨م ، ص ١٦٥.

[5] القرآن الكريم : سورة المائدة ، الآية ٨٢ – ٨٣ .

وفاضت أعينهم بالدمع ، تعبيراً عن الآثار العميقة العنيف بالحق الذي سمعوا ، والذي لا يجدون له في أوّل الأمر كفاء من التعبير إلا الدمع الغزير [1، 2] ، وصلّى عمر بن الخطاب رضي الله عنه إماماً بالناس ، فقرأ سورة يوسف ، فبكى حتّى سالت دموعه على ترقوته وسمعوا بكاءه من وراء الصفوف [3] .

(٧) التنافس في الحفظ :

ومن تأثير القرآن الكريم على النفوس البشرية المؤمنة تنافس المؤمنين في حفظه وقراءته في الصلاة وفي غير الصلاة حتى لقد طاب لهم أن يهجروا لذيذ منامهم من أجل تهجدهم به في الأسحار ومناجاتهم العزيز الغفار وما كان هذا حالاً نادرا فيهم بل ورد أن المار على بيوت الصحابة بالليل كان يسمع لها دوياً كدوي النحل بالقرآن (كَانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ) [4] ، كان الزهري والحسن يقولان : " كانوا كثيراً من الليل ما يصلون " [5] .

وكان التفاضل بينهم بمقدار ما يحفظ أحدهم من القرآن حتى في الممات ، ففي حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : " كان يجمع بين الرجلين من قتلى أحد في ثوب واحد ثم يقول : أيهم أكثر أخذاً للقرآن ، فإذا أشير له إلى أحدهما قدمه في اللحد وقال : أنا شهيد على هؤلاء ، وأمر بدفنهم في دمائهم ولم يصل عليهم ولم يغسلهم ، وكانت المرأة ترضى بل تغتبط أن يكون مهرها سورة يعلمها إياها زوجها من القرآن " [6] .

الخاتمة :

إن تأثير القرآن الكريم في النفوس قد بلغ مبلغاً عظيماً لم يعرف

---

[1] سيد قطب : في ظلال القرآن ، طبعة : مكتبة دار الشروق ، سنة٢٨١٢هـ ، ح ٢ ، ص ٩٦٢ .

[2] رشيد رضا : محمد رشيد رضا ، تفسير القرآن الحكيم ، الشهير بـ " تفسير المنار ، طبعة : دار الحديث القاهرة ، ١٣٦٦هـ ، ح ٧ ، ص ١٢ .

[3] الغزولي : عبد العزيز سيد هاشم الغزولي ، بالقرآن أسلم هؤلاء ، صفحة ٢٢ – ٢٤، طبعة : المكتبة الشامية للطباعة والنشر ، سنة ٢٠٠١م .

[4] القرآن الكريم : سورة الذاريات ، الآية ١٧ .

[5] ابن كثير : أبو الفداء إسماعيل ، تفسير القرآن العظيم ، مكتب دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠١هـ ، ج ٤ ، ص ٢٨٢ .

[6] البخاري ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي ، صحيح البخاري ، برقم : ١٢٨٢ ، ج ١ ، ص ٤٥٢ ، برقم : ١٢٨٢ .

قبله ولا بعده كلام قط ، إذ تلحق قلوب سامعيه وأسماعهم روعة وخشية وتعتريهم هيبة وتهيمن عليهم عظمته ، ونرى آثاره على الجاحدين أبلغ وأظهر ، إذ يقرعهم عن ضلالهم ويقيم عليهم حججاً لا معقّب لها فيستثقلون سماعه ويتولّون عنه بنفور مدبرين كما أخبر الله تعالى عنهم : (وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا) [1] .

أبرز النتائج كما يأتي :

- إن إعجاز القرآن الكريم هو إظهار صدق النبيّ صلّى الله عليه وسلّم في دعوى الرسالة بإظهار عجز العرب عن معارضته في معجزته الخالدة ، وإعجازه لا يمكن حصره .
- الهدف من دراسة إعجاز مصدر الشريعة الأساسي – القرآن – هو : إثبات مصدر القرآن الرباني ، وأنّه كلام الله سبحانه وتعالى ، وليس كلام محمد صلى الله عليه وسلم ، والإقرار بنبوّة محمد صلى الله عليه وسلم بعثه الله رسولاً للعالمين .
- إظهار الإعجاز التأثيري في القرآن الكريم كوجه مستقل بذاته كباقي وجوه الإعجاز الأخرى التي امتاز بها القرآن .
- أهمية استخدام الإعجاز التأثيري القرآني في الدعوة إلى الله تعالى كسلاح دعوي ، ولسنا بدعاً في هذا ؛ فقد استخدمه رسول الله صلى الله عليه وسلم .
- إبراز ما في آيات القرآن من جوانب الإعجاز التأثيري للقرآن الكريم ؛ ليعي الناس هذا الأمر ويفهموه .
- للقرآن سلطان خاصّ على الفطرة ، متى خُلّي بينها وبينه لحظة ، وحتى الذين راتب على قلوبهم الحجب ، وثقل فوقها الركام ، تنتفض قلوبهم أحياناً وتتململ تحت وطأة هذا السلطان وهم يستمعون إلى هذا القرآن .
- الإعجاز التأثيري ، نوع من أنواع الإعجاز المتعددة التي ذكرها العلماء ، وذلك أن القرآن هو المؤثر ، والنفس والقلب والروح كلها متأثرة به ، وهذا واضح من خلال النصوص القرآنية الشريفة .
- إن أثر القرآن في النفوس البشرية كان واضحاً ، فقد قلب الأفراد رأساً على عقب ، وغير الأمة وبناها بناءً جديداً ، على الفضيلة والعفة والرفعة والعزة .

---

[1] القرآن الكريم : سورة الإسراء ، الآية ٤١ .

الجنين الإنساني وسفر تكوين الإنسان

بين العلم الحديث والقرآن الكريم

(الحلقة الثانية الأخيرة)

الباحث محمد سليم الله أبو الكلام *

حقائق القرآن والسنة العلمية :

لغوياً : تعني " المضغة " المادة التي لاكتها الأسنان ومضغتها ، وهي تعطي وصفاً دقيقاً لواقع هذه المرحلة الجنينية حيث يصبح شكل الجنين مثل المادة الممضوغة التي يتغير شكلها باستمرار ، وحيث تظهر فلقات الكتل البدنية (Somites) في الجنين واختلافها يشبه شكل " طبع الأسنان " على اللقمة ، كذلك يتقلب الجنين في جوف الرحم كتقلب القطعة الممضوغة في الفم .

يأتي طور المضغة بعد طور العلقة ، وهذا الترتيب يطابق ما ورد في الآية الكريمة : (فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً) [1] ، ومن صفات المضغة أنها تستطيل ويتغير شكلها عند مضغها ، وهذا ما يحصل تماماً للجنين في هذه المرحلة . وكما ذُكر فللمضغة طور باكر قبل تشكل الأعضاء ، وطور آخر بعد بدء تشكل الأعضاء كما قال البيان القرآني : (. . . فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ . . .) [2] ، إذاً هناك طوران للمضغة : المضغة غير المخلقة والمضغة المخلقة ، وينتهي هذا الطور بشقيه في الأسبوع السادس (أي بعد ٤٠ يوم) ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً ثم يكون في ذلك علقةً مثل ذلك ثم يكون في ذلك مضغةً مثل ذلك ، ثم

* قسم الدراسات الإسلامية ، الجامعة العالية بكولكاتا ، الهند ، البريد الكتروني : mdsalimullahaliavee@gmail.com

[1] المؤمنون : ١٤ .

[2] الحج : ٥ .

يرسل الملك فينفخ فيه الروح . . . " [1] .

ولفتة أخرى أيضاً ، وهي أن بعض الأعضاء تتخلق قبل غيرها ، فالعينان واللسان (الأسبوع ٤) تتخلق قبل الشفتين (الأسبوع ٥) ، والبيان القرآني يقدم العينين واللسان قبل الشفتين (أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ . وَلِسَاناً وَشَفَتَيْنِ) [2] .

مرحلة العظام (Bones Phase) :

معلومات علمية حديثة :

خلال الأسبوع السادس يبدأ الهيكل العظمي الغضروفي في الانتشار في الجسم ، ولكن لا ترى في الجنين ملامح الصورة الآدمية حتى بداية الأسبوع السابع حيث يأخذ شكل الجنين شكل الهيكل العظمي . ويتم الانتقال من شكل المضغة إلى بداية شكل الهيكل العظمي في فترة زمنية وجيزة خلال نهاية الأسبوع السادس وبداية الأسبوع السابع ، ويتميز هذا الطور بظهور الهيكل العظمي الذي يعطي الجنين مظهره الآدمي .

حقائق علمية من القرآن والسنة :

قال تعالى : (. . . فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا . . .) [3] .

وتكَوُّن العظام هو أبرز تكوين في هذا الطور حيث يتم الانتقال من شكل المضغة الذي لا ترى فيه ملامح الصورة الآدمية إلى بداية شكل الهيكل العظمي في فترة زمنية وجيزة لا تتجاوز أيام قليلة خلال نهاية الأسبوع السابع (ولهذا استعمل حرف العطف : ف الذي يفيد التتابع السريع) ، وهذا الهيكل العظمي هو الذي يعطي الجنين مظهره الآدمي بعد أن يكسى باللحم (العضلات) وتظهر العينان والشفتان والأنف وكون الرأس قد تمايز عن الجذع والأطراف ، وهذا مصداقاً لقول الرسول صلى الله عليه وسلم : " إذا مرّ بالنطفة اثنان وأربعون ليلة بعث

---

[1] أخرج مسلم في صحيحه عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه .

[2] البلد : ٨ – ٩ .

[3] المؤمنون : ١٤ .

إليها ملكاً فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها . . " [1] .

بعد أن يمر على النطفة ٤٢ ليلة (٦ أسابيع) يبدأ التصوير فيها لأخذ الشكل الآدمي بظهور الهيكل العظمي الغضروفي ، ثم تبدأ الأعضاء التناسلية الظاهرة بالظهور فيما بعد (الأسبوع ١٠) وفي الأسبوع السابع تبدأ الصورة الآدمية في الوضوح نظراً لبداية انتشار الهيكل العظمي ، فيمثل هذا الأسبوع (ما بين اليوم ٤٠ و٤٥) الحد الفاصل ما بين المضغة والشكل البشرى

مرحلة الكساء باللحم (العضلات) (Flesh or Muscle Phase) :

معلومات علمية حديثة :

يتميّز هذا الطور بانتشار العضلات (Muscles) حول العظام وإحاطتها بها ، وبتمام كساء العظم باللحم تبدأ الصورة الآدمية بالاعتدال فترتبط أجزاء الجسم بعلاقات أكثر تناسقاً ، وبعد تمام تكوين العضلات يمكن للجنين أن يتحرك . وتبدأ مرحلة تكوين العضلات في نهاية الأسبوع السابع وتستمر طوال الأسبوع الثامن ، وتأتي عقب طور العظام مباشرة وخلال فترة وجيزة .

حقائق قرآنية :

تأتي مرحلة كساء العظام باللحم عقب طور العظام كما بين ذلك القرآن الكريم : (فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا) [2] فيتميز هذا الطور بانتشار العضلات حول العظام وإحاطتها بها كما يحيط الكساء بلابسه . وبتمام كساء العظام بالعضلات تبدأ الصورة الآدمية بالاعتدال ، فترتبط أجزاء الجسم بعلاقات أكثر تناسقاً ، وبعد تمام تكوين العضلات يمكن للجنين أن يبدأ بالتحرك .

ويعتبر هذا الطور الذي ينتهي بنهاية الأسبوع الثامن نهاية مرحلة التخلق ، كما اصطلح علماء الأجنة على اعتبار نهاية الأسبوع الثامن نهاية لمرحلة الجنين الحُمَيل (Embryo) ثم تأتي بعدها مرحلة الجنين بالخاصة

---

[1] صحيح مسلم .

[2] المؤمنون : ١٤

(Fetus) التي توافق مرحلة النشأة ، كما جاء في قوله تعالى : (فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ . . .) [1] .

طور النشأة والقابلية للحياة (Growth and Viability Phase) :

معلومات علمية حديثة عن طور النشأة والقابلية للحياة :

بنهاية الأسبوع الثامن تبدأ مرحلة جديدة يحدث فيها عمليات هامة حيث يتسرّع معدل النمو مقارنةً بالسابق ، وكذلك يتحوّل الجنين لخلق آخر ، حيث تبدأ أحجام الرأس والجسم والأطراف في التوازن والاعتدال ما بين الأسبوع التاسع والثاني عشر . في الأسبوع ١٠ يبدأ ظهور الأعضاء التناسلية الخارجية ويتطور بناء الهيكل العظمي من عظام غضروفية لينة إلى عظام كلسية صلبة في الأسبوع الثاني عشر ، وتتمايز الأطراف والأصابع بنفس الأسبوع ، وكذلك يتحدد جنس الجنين بظهور الأعضاء التناسلية الخارجية بشكل أوضح . ويزداد وزن الجنين بصورة ملحوظة وتتطور العضلات الإرادية وغير الإرادية كما تبدأ الحركات الإرادية في هذه المرحلة . وفي هذا الطور أيضاً تصبح الأعضاء والأجهزة مهيأة للقيام بوظائفها ويتم تهيئة الجنين للحياة خارج الرحم في الأسبوع ٢٢ وتنتهي في الأسبوع ٢٦ (أي بعد تمام الشهر السادس للحمل) عندما يصبح الجهاز التنفسي مؤهلاً للقيام بوظائفه ويصبح الجهاز العصبي مؤهلاً لضبط حرارة جسم الجنين . وهنا لا تنشأ أجهزة أو أعضاء جديدة بعد أن أصبحت كلها مؤهلةً للعمل ويقوم الرحم بتوفير الغذاء والبيئة الملائمة لنمو الجنين حتى طور المخاض .

الحقائق العلمية من البيان القرآني :

يبدأ هذا الطور بعد مرحلة الكساء باللحم ، أي من بداية الأسبوع التاسع ، ويستغرق فترةً زمنيةً (حوالي ٣ أسابيع) يدل عليها استعمال حرف العطف (ثم) الذي يدل على فاصل زمني بين الكساء باللحم والنشأة خلقاً آخر ، قال تعالى : (فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ) [2].

---

[1] المؤمنون : ١٤ .

[2] المؤمنون : ١٤ .

بعد تطور الهيكل العظمي الغضروفي وكسوته بالعضلات وتمايز الرأس والأطراف يتحول الجنين للخلق الإنساني الواضح المتميز عن غيره من المخلوقات .

ففي خلال هذه المرحلة تتم عدة عمليات هامة في نمو الجنين تتدرج بجلاء تحت الوصفين : (١) النشأة : من المراحل و (٢) خلقاً آخر .

وقول الله سبحانه : (يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ) [١] يصدق قول علماء الأجنة بأن الجنين يكون محاطاً بثلاث أغشية هي : (١) الغشاء الأمنيوسي (Amnion) (٢) غشاء الكوريون (Chorion) (٣) غشاء (Decidua) ، ولكن بعض العلماء قالوا : (١) الغشاء الأمنيوسي (٢) جدار الرحم (٣) جدار البطن ، والله أعلم . وكما مرَّ أن الجنين يصبح مهيأً للحياة خارج الرحم بعد تمام الشهر السادس ، وهذا هو ما ذكر البيان القرآني : (وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا)[٢] ، (وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ) [٣] ، وقبل الأسبوع الثاني والعشرين الذي يبدأ فيه هذا الطور يخرج الجنين سقطاً في معظم الأجنة .

نفخ الروح وحقيقتها (The Soul and its Fact) :

يقول الله تعالى : (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ . قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا) [٤] . ذكره لنبيّه محمد صلى الله عليه وسلم : ويسألك الكفار بالله من أهل الكتاب عن الروح ما هي ؟ قل لهم : الروح من أمر ربي ، فالروح أمر مجهول لا نقول فيه إلا أنه من أمر ربي ، وما أوتي البشر من العلم إلا قليلاً . ولكن الله سبحانه وتعالى قد أخبرنا أنه كرم آدم بنفخ الروح فيه . وكذلك كرَّم نبيه آدم حيث جعل نسله من سلالة من ماء مهين . (ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ) [٥] . والرسول الكريم

---

[١] الزمر : ٦ .
[٢] الأحقاف : ١٥ .
[٣] لقمان : ١٤ .
[٤] الإسراء : ٨٥
[٥] السجدة : ٩ .

صلى الله عليه وسلم يوضح لنا متى ينفخ الروح في الجنين فيقول : " إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً ثم يكون علقةً في ذلك مثل ذلك ثم يكون مضغةً في ذلك مثل ذلك ثم ينفخ فيه الروح " [1] . ولا يرتكز العلم الحديث على مرحلة نفخ الروح .

مرحلة المخاض (Delivery Phase) :

بعد مرور تسعة أشهر قمرية (٣٨ أسبوع) يكون الجنين قد أتمَّ نموه في الرحم ، وحان موعد خروجه منه بعد انقضاء هذه الفترة المحددة ، يقول تعالى : (وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى) [2] ، فالأجل محدد والفترة مقدرة : (فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ . إِلَى قَدَرٍ مَّعْلُومٍ . فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ) [3] .

يتضمن طور المخاض الذي ينتهي بالولادة ٤ مراحل : (١) مرحلة توسع عنق الرحم وانقباض عضلة الرحم : حوالي (٧ – ١٢ ساعة) . (٢) مرحلة خروج الجنين : حوالي (٣٠ – ٥٠ دقيقة) ، نعلم منها حكمة قوله عز وجلّ : (ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ) [4] . (٣) مرحلة خروج المشيمة (Placenta) : حوالي ١٥ دقيقة . (٤) مرحلة انقباض الرحم : حوالي ساعتين .

وبعد الولادة وقطع الحبل السري الذي كان يعتمد عليه الجنين لتحصيل الغذاء من أمه طوال فترة الحمل يبدأ المولود مرحلةً أخرى في محطة جديدة من حياته !

الخاتمة (Conclusion) :

وفي خاتمة البحث يناسب أن يقال بأن الله تعالى يعلم بعلمه المحيط أن الإنسان يصل في يوم من الأيام في المستقبل القريب أو البعيد إلى معرفة مراحل الجنين البشري ، فألهم سبحانه خاتم أنبيائه صلى الله عليه وسلم التكلم بهذه الحقيقة ليبقى فيها من الشهادات على صدق نبوته ورسالته ما يكون ملائماً ومناسباً لكل زمان وعصر .

---

[1] حديث ابن مسعود في الصحيحين .

[2] الحج : ٥ .

[3] المرسلات : ٢١ – ٢٣ .

[4] عبس : ٢٠ .

ومما سبق يتبين لنا أن الآيات القرآنية تقدم وصفاً دقيقاً متميزاً للمراحل الرئيسية التي يمر بها الجنين البشري ، وأن التعبيرات الحالية المستخدمة في علم الأجنة لوصف هذه المراحل لا تبرز الصفات المميزة للجنين في كل مرحلة حيث يستخدم الترقيم العددي دون إشارة إلى أي وصف ، وهذا يثبت إعجازاً رائعاً من أوجه الإعجاز القرآني .

وإن هذا البحث يبطل نظرية تشارلز داروين (١٨٠٩ – ١٨٨٢) وهي " أن الإنسان ما هو إلا حيوان من جملة الحيوانات ، حادث بطريق النشوء والارتقاء ، وأنه لمشابهته القرد ، لا يمنع أن يكون قد اشتق هو وإياه من أصل واحد" ، لأن الآية : (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ إلخ) [١] واضحة ذلك . وأيضاً إن هذا البحث يبطل بعض النظريات كنظرية التكوين المسبق (Pré-Formation-Theory) وكنظرية التخلق المتوالي (Epigenesis) وكنظرية أرسطو التي كانت سائدةً في عصره ولعصور كثيرة تليه كما ذكرت في المقدمة .

وفي الآية : (ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ) دلالةٌ على بطلان قول من قال : في " أن الإنسان هو الروح لا البدنُ " قول الفلاسِفة الذين يقولون : إن الإنسان شيئ لا ينقسم ، وإنه ليس بجسم .

وروي عن الإمام علي أنه رد على من قال : إن العزل هو المؤودة الصغرى قائلاً : لا تكون موءودةً حتى تمرَّ على التارات السبع : تكون سلالةً من طين ثم تكون نطفةً ثم تكون علقةً ثم تكون مضغةً ثم تكون عظاماً ثم تكون لحماً ثم تكون خلقاً آخر ، فقال عمر رضي الله عنه : صدقت ، أطال الله بقاءك [٢] .

ولا يرتكز العلم الحديث على أدوار خلق البشر الأول وعلى مرحلة العلقة والتصوير والتسوية والتعديل ونفخ الروح كما يركز عليها القرآن الكريم . هذا ما عندي والله أعلم بالصواب .

---

[١] المؤمنون : ١٢ – ١٤ .

[٢] تفسير ابن عاشور ، شرح الموطأ في تفسير قوله تعالى : (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طين) إلخ .

من أبعاد التواصل في الآداب العالمية :

سرديات الإسرآء بين المعري ودانتى وغوطه وإقبال

(الحلقة الأولى)

بقلم : أ . د . محمد ثناء الله الندوي *

توطئة :

انطلاقاً من تأكيد مبادئ الإسلام للعودة الإيجابية إلى الهوية الإنسانية دون تشويه للذات الفردية والانتماء الاجتماعي والبيئي والوطني تأسست الحضارة الإسلامية على مناشدة التقدم والحق والعدل بمناغمة الفطرة والعقل معاً . إن توكيد الذات الإنسانية الذى جسَّده القرآن الكريم شكلاً ومضموناً والمتمخّض عن تأسيس رؤيوي متضارب في أبعاد ميتافيزيقية وكونية منقطع القرين في تاريخ الإنسانية انعكس جزء منه في قصة الإسرآء والمعراج التي جعلت الفكر الفلسفي يقتبس من هيكلها المفاهيمي جذوات يصطلى بها تنظير مواقفي فلسفي وصوفي ، منها منظومة العقل أو اللوغوس ومنظومة الإنسان الكامل ، كما جعلت مهندسي الحروف يتخذونه قاعدة للمنطلق التعبيري حول عظمة الإنسان ، منتهجين في ذلك طرائق في التأليف والكتابة والإبداع ، حيث ارتقى التصور إلى فضاء الفكر الأرحب بمعالجة المسائل الفلسفية والصوفية والأدبية في الأدبين العربي والفارسي ، ومنهما إلى أدبيات اللغات الأوربية .

لقد تحوّلت قصة الإسرآء والمعراج المشار إليها في القرآن الكريم (سورة الإسراء وسورة النجم) والمذكورة بتفاصيل في الصحاح الستة وسواها إلى بنية فنية للسرديات الأدبية في العالم بداية من " رسالة الغفران " للشاعر والفيلسوف أبي العلاء المعري (٣٦٣ – ٤٤٩هـ/ ٩٧٣ – ١٠٥٧م) الذي جاء

* رئيس القسم العربي ، جامعة علي كره ، أترابراديش ، ٢٠٢٠٠٢ ، الهند ،
Email: sanaullahnadawi@gmail.com

سرده الإسرائي رداً على رسالة ابن القارح الحلبي (٩٦٢ – ١٠٣٠م) أجابه فيها على بعض القضايا يتمظهر سجلاً لثقافته الغزيرة وإحاطته الواسعة لعلوم عصره الأدبية منها واللغوية . أما قصص المعراج في الأدب الفارسي عديدة ، منها : " سِيَر العباد إلى المعاد " للحكيم السنائي الغزنوي (ت ٥٤٥هـ/١١٥٠م) و " رسالة الطير " لحجةالإسلام أبي حامد محمد بن محمد الغَزَّالي (٤٥٠ – ٥٠٥هـ/١٠٥٨ – ١١١١م) ، ومنظومة " منطق الطير " للمتصوّف الفارسي الشهير فريد الدين العطار (٥٤٥ – ٦٢٧هـ/١١٥٠ – ١٢٢٩م) المبنية على المزدوج/ المثنوي في قالب شعري قصصي ، التى تعد من أعظم الآثار في الأدب الصوفي (إذ بلغت نحو٤٦٥٠ بيتاً ، وكان قد نظمها سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م) . ولعل فيما يدل على مصطلح المثنوي أنه بني على المقابلة الثنائية شكلاً ومعنىً ؛ في الإيمان والاعتقاد بالجنة والنار ، والليل والنهار . والعطار تأثر على نحو كبير برسالة الطير لكل من ابن سينا والغزالي ، في الوقت الذي اتفق فيه مع رسالتي (الغفران والتوابع والزوابع) في منطلق الرحلة ، وهو المنطلق الذي قامت عليه قصة المعراج النبوي في استصحاب هادٍ ومرشد . وإذا كان ابن سينا قد عبَر جبالاً ثمانية لمقابلة الملك فإن الأودية والطرق عند الغزالي والسنائي والعطار سبعة ، وهي ترمز إلى المقامات السبعة في التصوف ، وطرقها . وكان العطار قد نظم الرحلة على ألسنة طيور حقيقية كالهدهد والنَّهْس والصقر وغيرها ؛ ولم يختر إلا طيراً خرافياً واحداً هو (السِّيْمُرغ) ورمز فيه إلى ملك قوي ، وهو عند الإيرانيين بمنزلة العنقاء عند العرب . الغزالي استخدم العنقاء في " رسالة الطير " استخداماً رمزياً في الوقت الذي استعمل مصطلح (الطيور) للدلالة الرمزية على المتصوفة وطرقهم ومذاهبهم . والأودية السبعة هي : الطلب والعشق والمعرفة والاستغناء والتوحيد والحَيْرة وأخيراً وادي الفقر والغناء كناية عن السموات السبع في قصة المعراج النبوي ، على حين ترمز إلى المقامات السبعة عند أهل التصوف كمراحل لتصفية أرواحهم ليحظوا في نهاية المطاف بعد اجتياز الوادي السابع (الفقر والغناء) بالحَضْرة الإلهية؛ علماً أن الهُدْهُد يرمز إلى جبريل ، والسيمرغ يرمز إلى ملك قوي صابر

يتجلى في المرآة عن توحده مع الله . فهو يمثل الطيور الثلاثين التي سلكت الأودية السبعة ووصلت إلى جبل (قاف) وحظيت بالوصول إلى الحضرة الإلهية . والسالك من المتصوفة – الطيور – يصمم على قطع الأودية ؛ مهما كانت صعوبتها ووعورتها ، لأن اليأس لا يتسرب إلى نفوس المؤمنين ، لينتهي به المطاف في مقام الشهود إلى التجلي والاتحاد .

كما لا يقلّ ولوع الشرق غير العربي بالإسرائيليات ، فشعر محمد إقبال (١٩٣٨ – ١٨٧٧) ، وهو صاحب أكبر مدرسة شعرية في شبه القارة الهندية ، وديوانه " جاويد نامه " من أنفس الدواوين التى تؤرخ لهذه الظاهرة في سياق عالمي ، إذ أنه بارى به دانتي (١٢٦٥ – ١٣٢١) في كوميديته المشهورة . والحوار الذي بدأه يوهان فلفانج فون غوته (١٧٤٩ – ١٨٣٢) بين الغرب والشرق في ديوانه الغربي – الشرقي (West-Östlicher Diwan) المفعم بالرموز والصور الشرقية والأفكار الغربية ، رد عليه محمد إقبال في ديوانه بيام مشرق (رسالة المشرق) . وقد أحال إقبال في أعماله الشعرية والفلسفية إلى عدد من الشعراء والفلاسفة ، منهم المعري وابن عربي ، وهو معجب أشد الإعجاب بجلال الدين الرومي الذي يذكره بـ " المرشد الرومي"، وتتجلى أهمية السرديات الإسرائيلية في شعر إقبال في سياقها العالمي لمجاراته مع دانتى وغوطه ، وتفوقه عليهما بحكم ثقافته التي جمعت بين أصالة الوعى والعبقرية الفنية والتعددية اللغوية . ومن بين القواسم المشتركة بين " رسالة الخلود " و " رسالة الغفرانِ " محاكمةُ الزنادقة ، فإذا كان المعري قد حاكم بشاراً وأمثاله فإن محمد إقبال حاكم ثلاثة من الزنادقة حين وصل إلى فلك المشتري وهم المنصور الحلاج ، والشاعر الهندي أسد الله غالب (١٧٩٧ – ١٨٦٩م) وشاعرة المذهب البابي في إيران قُرّة العين الطاهرة (١٨١٧ – ١٨٥٢م) التي أُعدمت سنة ١٨٥٢م لاعتناقها هذا المذهب . أما التقاؤهما بالمعراج النبوي فتمثّل بعدم الرضا بهذا العالم والتوجه إلى الذات الإلهية . وهي الفكرة التي يلتقي فيها الصوفي الكبير محيي الدين محمد بن علي بن محمد بن عربي (٥٦٠ – ٦٣٨هـ/١١٦٤ – ١٢٤٠م) ، ولا سيما في كتابه المعروف (الإسراء إلى مقام الأسرى) .

تتصدّر سرديات دانتى وغوطه الإسرائيلية الشهيرة (الكوميديا الإلهية وفاوست) في سياق الاستلهام من الثقافة العربية والإسلامية . يكاد يتفق مؤرخو الآداب العالمية على أن دانتى أليجيري (١٢٦٥ – ١٣٢١) أكبر شاعر في العصور الوسطى [١] . بدأ حياته الشعرية مقلداً للتروبادور الذين انتقل شعرهم إلى إيطاليا من إسبانيا وفرنسا ، ومعروف ما تأثروا به من شعريات الموشحات والأزجال في الأندلس . واشتهر دانتى بعمله " الكوميديا الإلهية " الذي يتمثل ثمرة للتطور الفكري والسياسي والفني للمؤلف ، بل سجلا لثقافة العصور الوسطى بأسرها ، وصلة الوصل بينها وبين ثقافة عصور النهضة التي صاغت خوارزميات التطور الأدبي لإيطاليا وأوربا الغربية بكاملها . والكتاب في أجزائه الثلاثة (الجحيم والبرزخ والفردوس) عمل موسوعي يمثل الشاعر والفيلسوف والعالم والسياسي والكاتب الاجتماعي المجتمعين في شخصية دانتى ، والمحللين لأسرار اللاهوت والملكوت والجبروت والناسوت . وهو خلاصة تجربة شاملة وعميقة لخيط حياتي إبداعي طويل يضمن فيه ثقافة العصر وعلومه وقضايا الإنسان والفن والكلمة .

البحث عن سرديات الإسرآء والمعراج في الآداب العالمية مرتبط أساساً بتحليل ظاهرة الاستلهام الفكري والشعري والأدبي ، أو ظاهرة قيام شاعر ، يكتب بلغة أخرى ، باستعارة فكرة ما أو موضوع ما أو حكاية ما عن شاعرٍ آخر يكتب بلغة أخرى ، سبق له أن عالج تلك الفكرة أو ذلك الموضوع أو تلك الحكاية في شعره . إنها ظاهرة قديمة قدم الإنتاج الفكري الإنساني . معروف أن مساءلات السياق والإحالة حظيت بأهمية كبيرة في جميع الأزمنة ، ولكنها تعاود جدلها بقوة وحيوية بالغتين في زماننا المعولم الذى يبدئ جدية في الخوض في الحوار بين الثقافات بمبادئ لا تخلو من النفسية القروسطية المريضة وبالتالي محتاجة إلى التقويم .

---

[١] راجع كتابينا : *The Arab Legacy in Latin Europe* (Aligarh: Samia Publications, 2003), *The Arab-Romance Parnassus* (Aligarh: Muslim University Press, 2004)

قصة الإسراء والمعراج في الإسلام :

الإسراء والمعراج رحلة تلاحقت فيها أبعاد الناسوت مع أقرانها في الجبروت والملكوت واللاهوت ، هي رحلة خاصة أكرم الله بها رسوله سيدنا محمد بن عبد الله الأمين (صلى الله عليه وسلم) . الإسراء في الإسلام تعبير عن توجه نبينا ليلاً من مكة المكرمة إلى بيت المقدس ، حسبما ورد في الآية الأولى من سورة الإسراء : (سُبْحانَ الذي أسْرَى بعَبْده لَيْلاً ، مِنَ المسجد الأقْصى الذي بَارَكْنَا حَولَهُ ، مِنْ آياتنا ، إنَّه هُو السَّميع البَصير) ، بينما المعراج يعني صعود النبي من بيت المقدس إلى السماوات العلى وما فوقها ، ورجوعه منها إلى بيت المقدس ، ثم عودته إلى مكة المكرمة من ليلته تلك قبل الفجر . ووردت الإشارة إلى المعراج في الآيات ١ – ١٨ من سورة النجم ، بقوله تعالى : (والنَّجْمِ إذا هَوى ، ما ضلَّ صاحبُكم وما غَوى ، وما ينطقُ عَن الهَوى ، إنْ هو إلا وَحيٌ يُوحى) إلى قوله تعالى : (وهو بالأفق الأعلى ، ثم دَنا فتدلّى ، فكان قابَ قوسين أو أدنى ، فأوحى إلى عبده ما أوَحى ، ما كذَب الفؤادُ ما رأى) ، ثم قال تعالى : (وَلَقدْ رآه نَزْلَةً اُخرى ، عنْد سدْرة المُنْتَهَى ، عندْها جَنَّةُ المأوى ، إذ يَغْشَ السِّدْرة ما يَغشْ ، ما زاغَ البصرُ وما طَغَى ، لَقَد رَأَى من آيات رَبّه الكُبْرى) . الإسراء والمعراج من المعجزات المحمدية التي دلت على نبوَّته ، وصدق رسالته . وتتلخص القصة بأن النبي صلى الله عليه وسلم عرج إلى السماوات السبع يصحبه جبريل عليه السلام هادياً ومرشداً . وقد رأى النبي في السماء الأولى (آدم) وفي الثانية (يحيى وعيسى) وفي الثالثة (يوسف) وفي الرابعة (إدريس) وفي الخامسة (هارون) وفي السادسة (موسى) وفي السابعة (إبراهيم) – عليهم صلوات الله أجمعين – . وكان (صلى الله عليه وسلم) قد رأى في كل سماء أشياء تأسس في ضوئها جملة من الأوامر والنواهي . ومن ثم انتهت رحلة المعراج إلى سِدْرة المنتهى وفق قوله تعالى : " لَقَد رَأَى من آيات ربّه الكُبْرى " [١] .

لا خلاف بين العلماء في أن الرحلة حدثت في مكة المكرمة قبل الهجرة ، واختلفت الآراء في اليوم والشهر والعام : ١٧ ربيع الأول قبل عام من الهجرة (ابن سعد عن الواقدي) ، ٢٧ ربيع الأول قبل عام من الهجرة

[١] النجم : الآية ١٨ .

(إبـراهيم بـن إسـحاق الحربـي) ، قبـل ١٨ شـهراً مـن لهجـرة (مـسلم بـن قتيبة) ، ٧ ربيع الأول قبل عام من الهجرة (عمرو بن شعيب عن عمرو بن العاص) ، ١٦ أو ١٧ أشهر قبل الهجرة (سدي) ، شهر رجب (ابن قتيبة الـدينوري ، ابـن عبـد الـبر ، الرافعـي ، النـووي ، عبـد الغـني المقدسـي والزرقاني) ، وترجح الآراء القائلة بوقوعها في ربيع الأول قبل عام أو سنة ونصف سنة ، أو في رجب ، فهي وقعت قبل عام وسبعة أشهر من الهجرة [١] . وردت القصة في الصحاح مثل البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجة ، ورواها عدد كبير من الصحابة : ٤٥ صحابياً كما يخبر الزرقاني ، أهمهم أبو ذر ومالك بن صعصعة وأنس بن مالك وعبد الله بن عباس وأبو هريرة وجابر بن عبد الله وعبد الله بن مسعود . وصرح مالك بن صعصعة وأبو ذر أنهما سمعا القصة من النبي صلى الله عليه وسلم [٢] . ورواية مالك بن صعصعة تضيف تفاصيل أخرى مثل وقوعها بين النوم واليقظة في الحطيم أو الحجر ، ووصف البراق وسواها . واختلفت الآراء في تفاصيل المعراج التي وردت في كتب مثل تفسير ابن أبي حاتم وتفسير ابن جرير الطبري ودلائل النبوة للبيهقي ومؤلفات ابن عساكر ، والحاكم ، لأن عجائبها من مرويات أبي جعفر الرازي وأبي هارون العبدي وخالد بن يزيد بن مالك . الأول ثقة ولكنه لا يتحرى في رواية الأحاديث الضعيفة ، أما الثاني والثالث فهما من القصاص الكذابين [٣] ، كما اختلفت الآراء في من رآه النبي صلى الله عليه وسلم في سدرة المنتهى عندما كان قاب قوسين أو أدنى : هل رأى الله تعالى شأنه ، أو رأى جبريل عليه السلام ،

[١] انظر الزرقاني (أبو عبد الله محمد بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن شهاب الدين بن محمد الزرقاني المالكي ، المتوفى : ١١٢٢هـ) : شرح المواهب اللدنية بالمنح المحمدية للشيخ أحمد بن محمد القسطلاني (بيروت : دار الكتب العلمية الطبعة : الأولى ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م ، ٣٥٥/١ – ٣٥٨ ، العيني (بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد العيني) : عمدة القاري في شرح البخاري (دار الكتب العلمية : ١٤٢١هـ/٢٠٠١م) ، ٦٨١/٣ ، ٨٠/٨ .

[٢] سر سيد أحمد خان : مقالات ،تحقيق محمد إسماعيل باني بتي ، ص ٦١٧ – ٦٩٠.

[٣] سليمان الندوي : سيرة النبي (أعظم كره : دار المصنفين ، ١٩٧٤ ، ٤١٩/٣ .

وفوق ذلك كله : هل كان المعراج جسمانياً أو روحانياً ؟ بينما تثبت رواية البخاري عبد الله عباس كون القصة مشاهدة عين ، تثبت رواية أنس بن مالك أنها وقعت بين النوم واليقظة . ذكر ابن هشام والطبري وابن إسحاق أن المعراج من الرؤيا الصادقة لدى عائشة ومعاوية رضى الله عنهما [1] . وذكر القاضي عياض أن الإسراء كان في اليقظة في رأي ابن عباس وجابر وأنس وحذيفة وأبي هريرة ومالك بن صعصعة وأبي حبة البدري وابن مسعود وضحاك وسعيد ابن جبير وقتادة وسعيد بن المسيب وابن شهاب الزهري وإبراهيم النخعي ومسروق ومجاهد وعكرمة وابن جريج وابن زيد وحسن ، إضافة مدلول قول عائشة ، والطبري وابن حنبل [2] . يقول العلامة الشاه ولي الله الدهلوي : وأسرى به إلى المسجد الأقصى ثم إلى سدرة المنتهى وإلى ما شاء ، وكل ذلك بجسده في اليقظة ، وذلك في موطن هو برزخ بين المثال والشهادة جامع لأحكامهما ، فظهر على الجسد أحكام الروح ، وتمثل الروح والمعاني الروحية أجساداً " [3] .

وهناك مرويات ابن أبي حاتم (٨٥٤ – ٩٣٨م) وابن جرير الطبري (٨٣٩ – ٩٢٨م) وأبي بكر البيهقي (٩٩٤ – ١٠٦٦م) وعبيد الضرير (٨٤٥ – ٩٢٦هـ) [4] ، إضافة المرويات الصوفية الإسرآئية أبي يزيد البسطامي (٨٠٤ – ٨٧٤م) والشيخ الأكبر محي الدين ابن عربي (١٠٦٥ – ١٢٤٠م) ، وأبي القاسم القشيري (٣٧٦ – ٤٦٥هـ/٩٨٦ – ١٠٧٤م) وسواهم . والإسرآئيات الأدبية لدى ابن شهيد الإشبيلي (٣٨٢ – ٤٢٦هـ/١٠٣٥م) وأبي العلاء المعري (٩٧٣ – ١٠٥٧م) كل هذا يشكل

[1] الطبري (أبو جعفر محمّد بن جرير الطبري المتوفّى سنة ٣١٠ هـ) : جامع البيان في تفسير القرآن (بيروت : دار الفكر ، ١٩٧٨) ، ١/١٥ – ٥١ .

[2] القاضي عياض (القاضي عياض ، أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي المالكي (ت ٥٤٤هـ) : الشفاء بتعريف حقوق المصطفى (بيروت : دار الفكر، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م) ، ص ٨٥ – ٨٦ .

[3] الشاه ولي الله بن عبد الرحيم الدهلوي (ت ١٧٦٢م) : حجة الله البالغة (دلهي : ١٢٨٦هـ – ١٨٦٩م) ، باب الإسراء ، ص ٣٨٧ .

[4] أنظر : عبيد الضرير : كتاب نزهة الناظرين في تفسير آيات من كتاب رب العالمين (القاهرة ، ١٣١٧هـ) ، ونجم الدين الغيطي : كتاب المعراج الكبير (القاهرة : ١٣٢٤هـ)

بنية السرديات الإسرآئية في تاريخ الإسلام العربي . أما التاريخ الإسلامي خارج العروبة فهناك إسرآئيات هامة مثل إسرآئيات عمر الخيام (١٠٤٨ – ١١٣١م) وحافظ الشيرازي (ت ٥٨٥هـ/١٣٩٠م) وابن الفارض (١١٨١ – ١٢٣٤م) وجلال الدين الرومي (١٢٠٧ – ١٢٧٣م) وشاعر الإسلام والشرق العلامة محمد إقبال (١٨٧٧ – ١٩٣٨م) .

تحتل قصة الإسراء والمعراج أهمية دينية في الإسلام ، لأنها تبين قدسية المسجد الحرام ، والمسجد الأقصى ، لانبعاث الأنبياء منهما ، مع الصلة الوثيقة بينهما ، ولأنها فرضت فيها الصلاة على المسلمين . وفحوى القصة أن جبريل عليه السلام أيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره بهذه الرحلة ، وجهَّزه لذلك ، وقدَّم له البُراق (وقد وصف بأنه دابة بيضاء) فركبه ، ورافقه جبريل في رحلته ، حتى وصلا إلى بيت المقدس ، وهناك صلى النبي ركعتين إماماً بالأنبياء ، ثم جيئ بالمعراج (وهي آلة العروج) فارتقاه النبي إلى السموات السبع ، حيث استقبلته الملائكة ، والتقى عدداً من الأنبياء ، إلى أن وصل إلى سِدْرةِ المنتهى ، " وهي التي ينتهي إليها ما يعرج من الأرض فيقبض منها ، وينتهي إليها ما يهبط من فوقها فيقبض منها " . (كما جاء في صحيح مسلم) ، ثم وقف جبريل في مكانه ، وارتقى النبي حتى سمع كلام الله تعالى مباشرة ، وأوحى إليه ما أوحى ، وتلقى أمر الله سبحانه وتعالى بفريضة الصلاة ، مما يبين أهمية الصلاة في الدين . ورأى النبي في هذه الرحلة الجنة والنار والعرش .

وفي الصباح أخبر النبي صلى الله عليه وسلم قريشاً بما جرى ، فدُهشوا لذلك ، وطلبوا منه وصف بيت المقدس وأبرز معالمه ، فأظهر الله سبحانه له تلك المدينة ، فعرّفها ، ووصف المسجد الأقصى بدقة ، فلم يعترض عليه أحد ممن كان يأتيهما في طريقه إلى الشام ، ويعرفهما حق المعرفة ، وأخبرهم عن بعض القوافل التي رآها ، وما جرى لبعض إبلها ، وموعد قدومها ، فكان كما قال . ومع ذلك فقد كذبه نفر من أهل مكة ، وتشكك آخرون في الأمر ، وازداد المؤمنون إيماناً ، وأقسم أبو بكر رضي الله عنه على صدق النبي بما أخبر به ، فلقب بالصِّدِّيق .

(للبحث صلة)

فلسفة " الحياة والموت " في الشعر العربي القديم

الدكتور عبد الحي الحسني الندوي *

الحياة والموت هما شقيقتان ، وكلما ذكرت إحداهما تتبادر إلى الذهن أخرى ، ومهما طالت الحياة فنهايتها الموت المحتوم ، فالحياة والموت كل منهما نقيض للآخر .

والموت لا يفرق بين الناس : الغني والفقير ، وبين المالك والمملوك وبين الملك والرعية . ولكن الإنسان عامة حريص على الحياة أشد الحرص لا يكاد يقبل أن الموت يتقرب إليه بل هو بين قدميه ، وهو يعرف تماماً أن الموت أمر حتمي لا بد منه أن يقع على الإنسان ، فقد ذُكرت الحياة والموت في الشعر العربي كثيراً ، وقد ذكرهما كثير من الشعراء .

وقد بين شاعر جاهلي أن الدنيا مبنية على الفناء لا على البقاء ، فكيف يفرح الإنسان بما نال في حياته إذ أنه لا يخلد عنده ولا هو ، وهو المسجاح بن سباع الضبي :

لقد طوفت في الآفاق حتى ... بليت وقد أتى لي لو أبيد
وأفنـاني ولا يفنى نهار ... وليل كلما يمضي يعود
وشهر مستهل بعد شهر ... وحول بعده حول جديد
ومفقود عزيز لفقد تأتي ... منيته ومأمول وليد

ومفهوم هذه الأبيات أن الموت آتٍ للإنسان مهما طالت حياته فإنه في رحلة قصيرة يجول في آفاق الحياة ويتمتع بها إلى أن يحين موعد قدره .

وخطب الشاعر تأبط شرا من امرأة من بني عبس وهي أيضاً كانت راغبةً فيه حتى وعدته أن تتزوجه فلما جاءها وجدها قد رغبت عنه وأظهرت كراهتها له فقال لها : ما غيّرك ؟ فقالت : " واللّه ! إن الحسب لكريم ولكن قومي قالوا : ما تصنعين برجل يُقتل عند أحد اليومين

* الأستاذ المساعد ، كلية الدراسات العربية والإسلامية ، جامعة عبد الرحمن الهلالية ، تشناي ، تاملنادو ، الهند Email: hainadwi@gmail.com

وتبقين بلا زوج ؟ " فانصرف عنها وهو يقول :

وقالوا لـهـا لا تـنـكحيهِ فإنهُ ... لأوَّل نَصْل أَنْ يُلاَقِىَ مَجْمَعا
فَلَمْ تَرَ مِنْ رَأْيٍ فَتِيلاً وَحَاذَرَتْ ... تأيُّمها من لابسِ اللَّيلِ أروَعا

وقال أيضاً :

وَكُنْتُ أَظُنُّ المَوْتَ فِي الحَـىّ أَوْ أُرَى ... ألـــدَّ وأُكـــرى أو أمـــوتَ مـقنَّعا
ولـستُ أبـيـتُ الدَّهرَ إلاّ على فتى ... أسـلِّـبـهُ أو أُذعـرُ الـسربَ أجمَعَا
وَإنّى وإن عُـمِّـرْتُ أَعْـلَـمُ أَنَّـنِى ... سَـأَلْـقَـى سِنَانَ الْمَوْتِ يَبْرُقُ أَصْلَعَا
وَمَنْ يَـفـرَّ بِالأعْـدَاءِ لا بُـدَّ أنَّـهُ ... سَيَلْقَى بِهِمْ مَنْ مَصْرَعِ الْمَوْتِ مَصْرَعَا

تدل هذه الأبيات على شجاعة الشاعر لمواجهة الموت وعدم الخوف منه إذ أنه سيلقى أجله ومصرعه إذا دنا الموعد المعلوم بالموعد المحتوم وتبرز سنان الموت له بارقة فلا يختار لنفسه ما يجلب له العار .

ومنها قول قَطَري بن الفجاءة مخاطباً لنفسه ، وكان رجلاً ذا شجاعة ومشغالاً بكثير من الحروب والوقائع ، وكان قوي النفس لا يهاب الموت ولا يكره الوقوع فيه ويقول قصيدة يذكر فيها أن الموت هو مصير الإنسان في نهايته . ومهما أعطي له من طول العمر وحياة منعمة ممتعة فإن مصيره هو الموت والهلاك وسبيل الموت غاية كل حي :

أَقولُ لَها وَقَد طارَت شَعاعاً ... مِنَ الأَبـطالِ وَيـحَكِ لَن تُراعي
فَإِنَّـكِ لَـو سَـأَلتِ بَقاءَ يَومٍ ... عَلى الأَجَلِ الَّـذي لَكِ لَم تُطاعي
فَصَبراً في مَجالِ المَوتِ صَبراً ... فَما نَـيـلُ الـخُلودِ بِـمُـستَطاعِ
وَلا ثَـوبُ الـبَـقاءِ بِثَوبِ عِزٍّ ... فَيُطوى عَن أَخـي الـخَنَعِ اليراعُ
سَبيلُ المَوتِ غايَـةُ كُلِّ حَيٍّ ... فَـداعِيَهُ لأَهـلِ الأَرضِ داعي
وَمَن لا يُعتَبَط يَـسأَم وَيَهرَم ... وَتُـسـلِـمهُ المنونُ إِلى اِنقِطاعِ
وَمـا لِـلمَرءِ خَـيرٌ في حَـيـاةٍ ... إِذا ما عُـدَّ مِـن سَـقَـطِ المتاعِ

يذكر قَطَري بن الفجاءة في هذه الأبيات أن الأجل والموت يأتي حتى من غير علة تصيب الإنسان وتؤدي بها إلى مصيره فإنه يهرم ويستسلم إلى الموت وما يعتريه من تكاليف الهرم . فهو يتحدث إلى نفسه ويقول لها بحكمة عظيمة : إن الموت حتم على الإنسان وليس لأي إنسان خلود في حياته إلا بعمله

وما يتركه من أمور تفيد الناس من بعده وما يتركه من تراث ومن سمعة .

والموت لا يأتي فقط في المعركة بسبب القتل ، بل هو يأتي الإنسان بشكل الهرم وكبر السن والأمراض المهلكة . ويحدث الشاعر لنفسه بأن هذه الحياة لا خير فيها إذا لم يعد الإنسان عنصراً مهماً فيها وفي مجتمعه .

فليس هناك خلود في هذه الحياة فالشاعر بفلسفته البسيطة يصور الموت ويربطه بالشجاعة والإقدام ويدفع إلى تخليد النفس بالذكر الجميل الحسن . فالإنسان عند مماته لا يترك سوى الذكر الحسن والسمعة الطيبة والعمل الصالح وإذا مات انقطع عن الدنيا بأعماله وسلب منه كل ما يملك من حطام الدنيا ولا يأخذ معه شيئاً وتموت معه كل متاع الدنيا التي كان يعيش فيها .

وبصدد هذا يذكر الشاعر الصلتان العبدي قائلاً :

أشاب الصغير وأفنى الكبير كر الغداة ومر العشي
إذا ليلة هرمت يومها أتى بعد ذلك يوم فتي
نروح ونغدو لحاجاتنا وحاجة من عاش لا تنقضي
ويسلبه الموت أثوابه ويمنعه الموت ما يشتهي
تموت مع المرء حاجاته وتبقى له حاجة ما بقي

وهناك شاعرة مخضرمة متفلسفة هي حرقة بنت النعمانِ بن المنذر تبين في أبياتها عن تقلب الدنيا وعدم ثباتها على حالة واحدة فتقول :

بينا نسوس الناسَ والأمرُ أمرُنَا إذا نحنُ فيهمْ سوقةٌ نتنصَّفُ
فَأفّ لدنْيا لا يَدُومُ نعيمُها تقلبُ تاراتٍ بنا وتصرفُ

وحرقة بنت النعمان تتحدث عن حالها وتصف بعد ذلك كيف كانت عيشتها وهي بنت الأمراء وكيف كان زمام الأمور بيدها وكيف آلت حياتها إلى أن تصبح عكس ما كانت عليه في السابق وتتحدث عن تلك الدنيا التي لا يدوم ولا يبقى لأحد شيئ من نعيمها .

وقد ذكر شاعر آخر عدم دوام نعيم الدنيا ويجب أن يعرف حاله في النهاية أي إن لكل شيئ نهاية وكل إنسان لا بد وأن تزول حياته ويصبح من الأموات فهذا ما قاله الشاعر يزيد بن الحكم الثقفي :

وتخـــرَّب الـــدنيا فلا بـــؤس يـــدوم ولا نعيم
كل امرئ ستئيم منـ ـه العِرس أو منها يئيم
ما علمُ ذي ولـد أيَـثْ ـكَلُه أم الولد اليتيم

يتحدث الشاعر عن فناء الدنيا وتقلبها وزوال نعيمها ويتحدث أن كل امرئ منه سوف يفقد كل ما يجد في حياته من البنين والأموال والأمتعة والأهل والأخلاء ، فأما الزوج يفقد زوجته فيصبح أيماً ، وأما الزوجة فتفقد زوجها فتصبح أيماً أيضاً ، وكذلك لا يعرف الوالد أيموت فييتم الولد أم أن الوالد يفقد ابنه .

والشاعر قد وضح مسألة الحياة والموت وأن الدنيا مبنية للفناء لا للبقاء وللخراب لا للعمارة فكيف يفرح الإنسان في حياته لمتاعٍ يزول منه سريعاً أو هو يزول عنه ميتاً . فيذكر الشاعر أبو النشناش قائلاً :

إذا المرء لم يسـرح سواماً ولم يرح سواماً ولم تـعـطـف عليه أقاربه
فـلـلـمـوت خـيرٌ للفتى من قعوده عديـمـاً ومـن مولىً تدب عقاربه
ولَـمْ أَرَ مِـثْـلَ الْـهَـمِّ ضَاجَعَهُ الْفَتَى ولا كَسَوَادِ الـلَّـيْـلِ أَخْفَقَ طَالِبُهْ
فَعِش مُعْدِمًا أَوْ مُـت كَرِيمًا فَإِنَّنِي أَرَى الموْتَ لا يَنْجُو مِنَ الْمَوْتِ هَارِبُهْ
وَلَوْ كَانَ شَيْـئٌ نَـاجِـيـاً مِنْ مَنِيَّـةٍ لَـكَـانَ أَثِـيرٌ يَوْمَ جَاءَتْ كَتَائِبُهْ

يقول : إما أن يعيش الإنسان عيشةً عديمةً أو يموت موتةً كريمةً فالأولى له أن يموت إذا لم يستطع أن يعيش عيشةً كريمةً ، فإن الموت آت يوماً لا محالة ولا سبيل للفرار منه مهما سعى ، فالموت خير للمرء من أن يعيش عديماً .

ويذكر شاعر آخر من بني أسد يرثي أخاً له ، مرض في غربة بعيداً عن أهله فسأله أن يهرب من موضعه إلى البيت ولكنه مات في الطريق ، قائلاً :

أبـعدت من يومك الفرار فـما جاورت حيث انتهى بك القدر
لوكان ينجي من الردَى حذر نـجاك مما أصابك الحـذر
يرحـمـك اللّه مـن أخي ثقة لم يـك في صـفـو ودّه كدر
فـهـكذا يذهب الزمان ويفـ ـنى العلم منه ويـدرس الأثـر

وهناك أبيات أخرى لشاعر آخر ، تجسد الموت وقسوته على الناس فيقول الشاعر عبد الله بن ثعلبة الحنفي :

لـكـل أناس مـقـبـر بفنائهم فهم ينقصون والقبور تزيد
وما أن ترى دارا لحي قد أقفرت وقـبـر لميتة بالفناء جديد
فـهـم جيرة الأحياء أما مـحـلهم فدان وأمـا الملتقى فبعيد

وهذا دليل على أن الإنسان فانٍ ، وأن هناك فراقاً بين الأحبة والأخلاء . فبماذا يعتصم الإنسان من الفناء ؟ فهو أمر مقدر من الله سبحانه وتعالى وبيده الأمر كله ومهما تعددت الأسباب فإن الموت هو واحد وهو فراق الأحبة والأهل والانقطاع عن الدنيا .

وإن الله سبحانه وتعالى هو الذي يجري المقادير فقد ضمّن الشاعر الغطمّس الضبّي هذا المعنى في قوله :

إلى الله أشكو لا إلى الناس أنني أرى الأرض تبقى والأخلاء تذهب
أخِلاّيَ لو غير الحمام أصابكم عتبت ولكن ما على الدهر معتَب

فقد صرف الشاعر شكواه إلى الله سبحانه وتعالى ، لأن الله هو الذي أجرى المقادير من فناء الأصدقاء وبقاء الأرض ، والموت ليس له طريق للعتب فإنه قدر محتوم ونهاية ومقدرة ، وليس للإنسان أن يفر منه مهما طال بقاؤه في الدنيا .

الخاتمة :

إن الشعراء العرب مع بقائهم في حياة ساذجة بدوية عامة بعيدةٍ عن الحركات والأفكار الفلسفية ، كانوا أكبر فلاسفة في العالم من ناحية فهم حقيقة الحياة الإنسانية في الدنيا فلم يعْي أحد منهم أن يصف الحياة الدنيوية وحقيقتها وعدم خلود الإنسان في الأرض . فهذا ما يدل عليه الأبيات المذكورة أعلاه من فلسفة الشعراء العرب في أمر الحياة والموت في الأرض . وهي أروع ما ذكر في سذاجة الحياة في العالم وتشجع أجبن خلق الله في الأرض . فيطلب من كل إنسان يجري وراء المال والماديات ويجلب كل ما يكتسب من أمتعة الدنيا إلى حضانته كأنما يعيش في الدنيا لآلاف أعوام بلا موت . فليعتبر كل شخص بحياة كل من مات على عيانه فيعيش لرضا الله في داخل الأرض .

حركة تحرير المرأة في مصر : دراسة عامة

أ . د . مسعود عالم الفلاحي *

بدأت حركة تحرير المرأة في مصر بدعوة من قاسم أمين ، وكان المجتمع المصري آنذاك منغلقاً كل الانغلاق ، فواجه هذه الدعوة بمعارضة شديدة ، وجرت معركة قلمية قاسية بين قاسم أمين ومعارضيه ، إلا أن قاسم أمين كان على قناعة ، وكان على معرفة بمصير دعوته ، فثبت على مبدئه ، لا يلين ولا يستكين ، إلا أن سوء الفهم كان هو العامل الأساس في المعاملة العنيفة ضد قاسم أمين ، فإن الناس ظنوه داعياً إلى الإباحية والسفور ، وإزالة كل حاجز أخلاقي أو ديني ، يحجر المرأة في إطار دارها ، وليس الأمر كذلك ؛ بل إنه وقف في دعوته عند حدود الله ، ولم يدع إلى تعديها بحال من الأحوال .

نعم ، إن المؤيدين لقاسم أمين لم يقفوا عند ما وقف قاسم أمين ، بل تعدوا كل حد ، وأصبحت المرأة المصرية في سنوات معدودة تزاحم الرجال في جميع الأعمال ، وفوق ذلك صارت عرضة للبيع والشراء ، وفندت كل عائق مجتمعي أو ديني أو أخلاقي إلا من رحم ربك .

وفي هذا السياق يحلو لي أن أقول : إن للمرأة دوراً أيما دور في إصلاح المجتمع وتربية الأبناء وتطوير عجلة الثقافة والحضارة ، فلا يجوز حصرها في بيت ولا يجوز عرضها كالمبيعات في المحلات التجارية ، بل يجب أن يكون الأمر وسطاً بين الإفراط والتفريط ، وإن المطلع على تاريخ مصر وما فيها من حركات وتقلبات يعرفون جيداً أن الإخوان المسلمين هم الذين أوضحوا الدور الحقيقي ، والمنهج الإسلامي السليم تجاه المرأة ، لتؤدي دورها في خدمة المجتمع وتطوير الدولة وبناء الحضارة ، حيث شكلوا فرقة الأخوات المسلمات ، والتي قامت بدور عظيم في إصلاح المجتمع وعملية الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

حركة تحرير المرأة في مصر :

ظل الحديث عن حركة تحرير المرأة موضوعاً شاغلاً للكتاب

* رئيس قسم اللغة العربية وآدابها ، بجامعة خواجة معين الدين الجشتي اللغوية ، لكناؤ – الهند . البريد الإليكتروني : masoodfalahi@gmail.com

والباحثين ، ولا شك أنه موضوع هام وخطير ، ومن المعاني التي التبس أمرها على كثير من المثقفين والباحثين ، فصاروا بين طريقٍ نقيض إلا من رحم ربك ، بدأ قاسم أمين [1] (١٢٧٩ – ١٣٢٦هـ/ ١٨٦٣ – ١٩٠٨م) الدعوة إلى تحرير المرأة ، وألف كتابين في هذا الصدد ، الأول : " تحرير المرأة " ، طبع عام ١٨٩٩م [2] ، والثاني : " المرأة الجديدة " طبع سنة ١٩٠٠م [3] ، وعُرف قاسم أمين منذ ذلك اليوم بـ " محرر المرأة " ، وقال فيه : إن حجاب المرأة السائد ليس من الإسلام ، وقال : إن الدعوة للسفور ليست خروجاً عن الدين ، وما إن خرج هذا الكتاب حتى اشتعلت نيران الغضب بين بعض أطياف المجتمع ، ووصفه الناس بأنه " زنديق كافر وإباحي فاسق فاجر " ، وجريمته أنه نادي بحرية المرأة في حدود شرعية ، فوضعته سلطة المجتمع في القائمة السوداء ، وعاقبته أشد العقاب ، وبرز عدد من الكتاب والباحثين ليكونوا حرباً على قاسم أمين وما دعا إليه من فكرة جديدة .

ولكن قاسم أمين يقول بكل صراحة : أنه يريد أن يقف بالحجاب عندما أمر الله به ، بل دافع عن الحجاب ، وأنه يدعو إلى أن لا يجوز للناس تجاوز حدود الله وستر ما لم ينزل الدين بكونه عورة ، وحرمان المرأة من العلم وسجنها في البيوت . ولم يدع الشيخ قاسم أمين إلى اختلاط المرأة بالرجال ، ومراقصتهم ، ولم يدع قط إلى اتخاذ الملابس الضيقة التي لا

---

[1] هو قاسم بك أمين ، وكان أحد طلاب الحقوق الذين اقتربوا من حلقة الإمام جمال الدين الأفغاني (١٢٥٤هـ – ١٣١٤هـ/١٨٣٨م – ١٨٩٧م) ومدرسته الفكرية التي ازدهرت بمصر في ذلك التاريخ . وأثناء مقام قاسم أمين بـ باريس ، استقر الإمام جمال الدين الأفغاني والإمام محمد عبده (١٢٦٦هـ – ١٣٢٣هـ/١٨٤٩م – ١٩٠٥م) . فعادت صلات قاسم أمين مع الأفغاني ومدرسته . فكان " المترجم " الخاص بالإمام محمد عبده بـ باريس . (عمارة ، محمد : قاسم أمين ، *الأعمال الكاملة* ، [*الأعمال الكاملة* لـ قاسم أمين] دار الشروق ، القاهرة ، مصر ، ط . الثانية ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ص ٢٢) .

[2] مشمول في عمارة ، محمد : قاسم أمين ، *الأعمال الكاملة* ، [*الأعمال الكاملة* لـ قاسم أمين] ، op.cit. ، ص ٣١٨ – ٤١٦ .

[3] مشمول في عمارة ، محمد : قاسم أمين ، *الأعمال الكاملة* ، [*الأعمال الكاملة* لـ قاسم أمين] ، op.cit. ، ص ٤١٧ – ٥٥٢ . " ركز فيه جهده للرد على الاعتراضات التي قدمت ، في الكتب والرسائل والصحف والمجلات والمنتديات ، ضد كتابه " *تحرير المرأة* " ، كما ضمنه تطويراً أكثر جراءة في عدد من القضايا التي تناولها في " *تحرير المرأة* " في تواضع أو على استحياء " . (عمارة ، محمد : قاسم أمين ، *الأعمال الكاملة* ، [*الأعمال الكاملة* لـ قاسم أمين] ، op.cit. ، ص ١٣٣) .

تخفى عورات الجسم فحسب ؛ بل تبرز أيضاً مواضع الفتنة والإغراء منها .

فإنه طالب بتعليم المرأة ، ولكن لم يطالب بأن تعمل المرأة عمل الرجال ، وتتحرك في الحياة العامة ، فيقول من خلال التحدث عن " تربية المرأة " :

" ففي رأيي أن المرأة لا يمكنها أن تدير منزلها إلا بعد تحصيل مقدار معلوم من المعارف العقلية والأدبية ؛ فيجب أن تتعلم كل ما ينبغي أن يتعلمه الرجل من التعليم الابتدائي على الأقل ؛ حتى يكون لها إلمام بمبادئ العلوم يسمح لها بعد ذلك باختيار ما يوافق ذوقها منها وإتقانه بالاشتغال به متى شاءت " [1] .

ويقول أيضاً : " ولست ممن يطلب المساواة بين المرأة والرجل في التعليم فذلك غير ضروري ؛ وإنما أطلب الآن ولا أتردد في الطلب أن توجد هذه المساواة في التعليم الابتدائي على الأقل ، وأن يعتنى بتعليمهن إلى هذا الحد مثل ما يعتنى بتعليم البنين " [2] .

ويقول من خلال التحدث عن " حجاب النساء " : سبق لي البحث في الحجاب ، بوجه إجمالي ، في كتاب نشرته باللغة الفرنساوية من أربع سنين مضت ، رداً على " الدوق داركو " . وبينت هناك أهم المزايا التي سمح لي المقام بذكرها ، ولكن لم أتكلم فيما هو الحجاب ، ولا في الحد الذي يجب أن يكون عليه . وهنا أقصد أن أتكلم في ذلك .

وربما يتوهم ناظر أنني أرى الآن رفع الحجاب بالمرأة ؛ لكن الحقيقة غير ذلك . فإنني لا أزال أدافع عن الحجاب وأعتبره أصلاً من أصول الآداب التي يلزم التمسك بها ؛ غير أني أطلب أن يكون منطبقاً على ما جاء في الشريعة الإسلامية ، وهو على ما في تلك الشريعة يخالف ما تعارفه الناس عندنا ، لما عرض عليهم من حب المغالاة في الاحتياط ، والمبالغة فيما يظنونه عملاً بالأحكام ، حتى تجاوزوا حدود الشريعة وأضروا بمنافع الأمة .

والذي أراه في هذا الموضوع هو أن الغربيين قد غلوا في إباحة التكشف للنساء إلى درجة يصعب معها أن تتصون المرأة من التعرض لمثارات الشهوة . ولا ترضاه عاطفة الحياء . وقد تغالينا نحن في طلب التحجب والتحرج من ظهور النساء لأعين الرجال حتى صيرنا المرأة أداة من الأدوات أو متاعاً من المقتنيات ، وحرمناها من كل المزايا العقلية والأدبية التي أدت لها

---

[1] أمين ، قاسم : *تحرير المرأة* ، مشمول في عمارة ، محمد : قاسم أمين ، *الأعمال الكاملة* ، [*الأعمال الكاملة* لـ قاسم أمين] ، op.cit. ، ص ٣٢٩ .

[2] المرجع السابق ، ص ٣٤٤ .

بمقتضى الفطرة الإنسانية . وبين هذين الطرفين وسط سنيته – هو الحجاب الشرعي – وهو الذي أدعو إليه " [1] .

وذكر أمثالاً من احتقار المرأة بأيدي الرجل ، ثم ذكر خَفَّ نوعٍ من سلطة الرجل على المرأة في مصر ، وذهابهن إلى المتنزهات العمومية لاستنشاق الهواء والسياحة مع زوجها إلى بلد آخر ، وبعده يقول :

" نعم لا ننكر أن هذا التغيير لا يخلو من وجوه انتقاد ؛ لكن سبب الانتقاد في الحقيقة ليس هو نفس التغير ، ولكنه الأحوال التي احتفت به ، وأهمها رسوخ عادة الحجاب في أنفس الجمهور الأعظم ونقص تربية النساء . فلو كملت تربية النساء على مقتضى الدين وقواعد الأدب ، ووقف بالحجاب عند الحد المعروف في أغلب المذاهب الإسلامية سقطت كل تلك الانتقادات ، وأمكن للأمة أن تنفع بجميع أفرادها ، نساءً ورجالاً " [2] .

ولا شك أن ما دعا إليه قاسم أمين كان فكراً صريحاً ، ووسطاً بين الإفراط والتفريط ، وكان استجابة لضمير الدين والنهضة ، فإن المجتمع المصري كان يضع آنذاك الرجل والمرأة على أبعد مسافة ممكنة ، بعضها من بعض ، فالرجل يجب أن تكون لحيته طويلة ، أو على الأقل شارب ضخم ، حتى تكون رجولته ظاهرة من بعيد ، أما المرأة فيجب أن تكون كخيمة تمشي على قدمين ، وإن كلاً من الرجل والمرأة يجب أن يتميز عن الآخر في سلوكه ، فالرجل قوي عدواني ، جهوري الصوت ، والمرأة ضعيفة خجلة ، خافتة الصوت ، تلتزم دائماً موقف الدفاع ، المرأة لا تتكلم ، بل تستمع ، لا تناقش ؛ بل تطيع ، لا تتحرك ؛ بل تنتظر ، ففي هذه الظروف خرج قاسم أمين ليتيح للمرأة من الحرية ما يكفل لها الحياة العزيزة ، ويمكنها من أداء دورها البارز في الثقافة والمجتمع والأسرة وتربية الأولاد .

موقف عامة الناس من تحرير المرأة :

والحقيقة التي يجب أن أعترف بها أن الأمور لم تقف عندما دعا إليه قاسم أمين ، وإنما تطورت تطوراً سريعاً واندفع الناس إلى ما وراء دعوته بسرعة غير منتظرة . فقد خلعت المرأة النقاب ، وخرجت بالثياب الملونة ، ثم إنها تجاوزت ذلك كله إلى الظهور على شواطئ البحر في المصايف بما لا يكاد يستر شيئاً ، ولم تعد عصمة النساء في أيدي أزواجهن ولكن أصبحت في أيدي صانعي الأزياء في باريس من اليهود ومشيعي الفجور [3] .

---

[1] المرجع السابق ، ص٣٥٠ .

[2] المرجع السابق ، ص ٣٢٨ .

[3] عبد العزيز ، جمعة أمين : *أوراق من تاريخ الإخوان المسلمين* ، (دار التوزيع والنشر

وقطعت المرأة مرحلة التعليم الابتدائي والثانوي ، واقتحمت الجامعات مزاحمة فيما يلائمها [1] ، وفيما لا يلائمها من ثقافات وصناعات وشاركت في الوظائف الحكومية وبدأت تطالب " حقوق المرأة " أو " مساواتها بالرجال " ، وامتلأت المصانع والمتاجر بالعاملات والبائعات ، حطمت النساء الحواجز التي كانت تقوم بينهن وبين الرجال في المسارح ، وفي الترام ، وفي كل مكان . فاختفت المقاعد التي جرت العادة على تخصيصها للسيدات بعد أن أصبحن يفضلن مشاركة الرجال .

دخلت المرأة في السياسة ، وسافرت إلى باريس وأمريكا لدراسة شؤون المرأة وأقيمت ندوات نسائية وأنشأت الأحزاب السياسية منظمات نسائية في الحزب .

لعبت الصحف دوراً حاسماً في هذه المعركة ، بما كانت تنشر من صور للجمعيات النسائية وللأزياء . وبدأت المرأة تشارك في الإعلانات بصورة لافتة للنظر ، فما من إعلان أي شيئ إلا وفيه " امرأة سافرة " وفي بعض الأحيان " عارية " تعلن عنها . ولم يقف دور المرأة عند حد استخدامها في الإعلانات كدعوة للسفور ولنبذ القيم والمبادئ الإسلامية ؛ بل وصلت إلى حد الفحش والبغي . وهذه المؤامرة على المرأة المسلمة تنفذ خطوة خطوة لكي تخلع المرأة المسلمة حياءها ، فتكون أداة سهلة في يد دعاة التغريب يهدمون بها القيم والعادات والتقاليد الإسلامية ، فيسيطرون على المجتمع [2] . ولكن أعطى القرآن حرية للمرأة وقال لها : (وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِيْ عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوْفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ) [3] .

المرأة في جماعة الإخوان المسلمين :

وفي هذا السياق يجب أن أذكر الدور الذي لعبته جماعة الإخوان المسلمين تجاه المرأة ، فقد وقف الإمام حسن البنا ومن بعده من رجال الإخوان المسلمون من قضية المرأة موقفاً إسلامياً صحيحاً ، وحاول أن يرد المرأة إلى دورها الحقيقي . وكوّنت فرق الأخوات المسلمات ، وكذلك حارب الإخوان كل من يدعو لسفور المرأة ويحمد لها خلع حجابها والاختلاط الفاسد مع

الإسلامية ، القاهرة ، مصر ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٣هـ) ، ٧٧/١ – ٧٨ .

[1] حسين ، محمد محمد : *الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر* ، (مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، ط . السادسة ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م) ٢/٢ .

[2] عبد العزيز ، جمعة أمين : *أوراق من تاريخ الإخوان المسلمين* ، op.cit. ، ٧٨/١ – ٨٠ .

[3] البقرة : ٢٢٨ .

الرجال ، ومظاهر العهر والخلاعة . وعملوا جاهدين على إلغاء البغاء الرسمي ؛ حتى كلل الله مجهودهم بالنجاح . وخصص الإخوان للمرأة باباً خاصاً في جريدة الإخوان المسلمين تحت عنوان " النسائيات " [1] .

وهكذا نجد أن الجماعة لمتغفل عن أهمية دور المرأة في تعزيز مكانتها المجتمعية والسياسية وتحقيق مشروعها الأيديولوجي ، ففي عام ١٩٢٨ ، أسس البنّا مدرسة أمهات المؤمنين التابعة للإخوان ، أعقبها إنشاء قسم للأخوات المسلمات ، أطلق علي هب عد ذلك اسم " فرقة الأخوات المسلمات " التي رأسها المرشد العام سنة ١٩٣٢ [2] . وجاء في حيثيات هذه النشأة أن الهدف من تشكيل هذه الفرقة هو " دعم الروح الإسلامية ونشر الفضيلة من خلال المحاضرات والتجمعات النسائية " .

كان هذا القسم بمنزلة الأداة الرئيسية لتجنيد العضوات في الجماعة ؛ وكتبت في هذا الصدد ، السكرتيرة السابقة للأخوات المسلمات فاطمة عبد الهادي في مذكراتها " رحلتي مع الأخوات " أن الغرض من القسم هو نشر دعوة الإخوان بين النساء في جميع أنحاء مصر وإنشاء فروع لها في كل محافظة ومدينة [3] . كما تولى القسم مهمة اختيار الفتيات المنضمات إلى الجماعة ، وتأهيلهن حتى يصبحن عضوات فاعلات .

فالنساء ينشطن في جماعة الإخوان المسلمين منذ وقت مبكر من تاريخ الجماعة . ولم يقتصر دور النساء في التنظيم علي أن يكن زوجات أعضاء الجماعة من الذكور ، لكن ، هنَّ قمنَ أيضاً بمبادراتٍ مباشرة لدعم الأيديولوجية ودعم التنظيم . وقد كان للمرأة تأثير تكبيرة منخلاً لدور هن في المشاريع الاجتماعية والتعليمية التي استمرت لأجيال بعد ذلك . وخروجاً عن الشائع بين النساء المنتميات إلى الجماعات الإسلامية ، وقد كان للنساء في تنظيم الإخوان من اضطلاع بأدوارٍ رسمية في الهيئات التابعة لجماعة الإخوان المسلمين .

---

[1] عبد العزيز ، جمعة أمين : *أوراق من تاريخ الإخوان المسلمين* ، op.cit. ، ١/٨١ – ٨٢ .

[2] د . مكارمالديري ، المرأة في فكر الإمام البنّا ، نافذة مصر ، ١١ مارس ٢٠١٨ ، متاح على الرابط :
https://egyptwindow.net/Articles/٥٠٩٧٠/default.aspx

HananHaggag, "The Muslim Brotherhood's exploitation of women," *Ahramonlin*, 29 Jun 201:
http://english.ahram.org.eg/NewsContent/1/64/305807/Egypt/Politics-/The-Muslim-Brotherhoods-exploitation-of-women-.aspx

تطور الصحافة العربية في العالم العربي : أسبابه وأساليبه

الأستاذ ملك محمد أحمد الندوي ، لكناؤ (الهند)

نشأة الصحافة العربية في البلدان العربية :

من المعروف أن البلدان العربية وخاصةً مصر تأثرت كثيراً بالاستعمار الفرنسي لمصر الذي دام لمدة ثلاث سنوات فقط ، حينما هجم الفرنسيون على مصر في عام ١٧٩٨م ، وكان هذا الفتح الفرنسي لمصر ذا فوائد جمة ، فبه فتحت أبواب الثقافة والحضارة الغربية للمصريين بصفة خاصة ، وللعرب بصفة عامة حيث انتشرت النهضة العلمية والأدبية في البلدان العربية بعد هذا الفتح ، وحينما احتل الفرنسيون مصر أدخلت معهم آلات الطباعة ، والتي عرف استخدامها المصريون في فترة بسيطة ، فبدأت بذور الصحافة تغرس في مصر والعالم العربي ، وبعد دخول الفرنسيين بعامين صدرت أول صحيفة عربية مطبوعة في عام ١٨٠٠م ، فيمكن القول : إن نشأة الصحافة العربية ما كانت إلا نتيجة اتصال العرب بالغرب عن طريق حملة نابليون بونابارت الأول (١٧٦٩م – ١٨٢١م) على مصر عام ١٧٩٨م ، وفي عام ١٨٠٠م أصدر نابليون بونابارت فرماناً بإصدار نشرة باللغة العربية ، فقام بعض القواد الفرنسيين بإصدار جريدة شبه عسكرية تحت إشراف الشيخ الخشاب ، كان اسم هذه الصحيفة " التنبيه [١] " ينشرون فيها ما يجري في الدوائر الحكومية ويفرقونها على العمال ، وكان يحررها السيد إسماعيل خشاب ، فهي كالصحيفة العسكرية أو القضائية ، ولكنها اختفت بعد وقت قليل [٢] .

ومن عام ١٨٠١م حتى عام ١٨٢٧م لم تصدر جريدة عربية في البلدان العربية ، وقام محمد علي بإصدار جريدة باسم " جورنال الخديوي " سنة ١٨٢٧م في مصر ، وكانت هذه الجريدة بمثابة نشرة شهرية تنقل

[١] أديب مروه ، الصحافة العربية : نشأتها وتطورها ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٦١م ، ص ١٤٢ .

[٢] الدكتور أحمد هيكل ، تطور الأدب الحديث في مصر ، دار المعارف ، ١٩٩٤م ، ص ٢٥ – ٢٦ .

للناس أهم الأخبار في البلاط وفي مصر ، وبعد سنة من إصدارها أي ١٨٢٨م تغيّر اسمها إلى " الوقائع المصرية " ، وكانت بمثابة لسان حال الحكومة واستمر إصدارها طوال القرن التاسع عشر المسيحي تقريباً .

هذا ، وقد قامت الحكومة الفرنسية في شمال إفريقيا بإصدار جريدة هناك في عام ١٨٤٧م ، لكي تكون وسيلةً للتفاهم بينهما وبين السكان الأصليين العربي ، وسميت هذه الجريدة باسم " المبشر " والتي صدرت من مدينة الجزائر ، وكانت نصف شهرية تنطق بلسان فرنسا ، وهي تعتبر ثالث جريدة عربية في العالم ، وقام رزق الله حسون الحلبي بتأسيس صحيفة عربية باسم " مرآة الأحوال " في مدينة " الآستانة " حاضرة بني عثمان سنة ١٨٥٥م ، وهو بهذا يعتبر أول عربي قام بتأسيس صحيفة عربية [١] .

الأوضاع التي نشأت فيها الصحافة العربية :

إن الصحافة العربية بدأت مسيرتها عند ما كانت الدول العربية تمر بمرحلة عصيبة من تاريخها ، وكانت الدول العربية تعاني من حياة البؤس والضنك والإعسار ، وكان الجهل سائداً في جميع أنحاء الدول العربية ، ولم يتحدث واحد عن إنشاء المعاهد والكليات ونشر التعليم والثقافة ، وانقضى عصر الخلفاء ، وليس من العرب أو الترك الآن علماء في الرياضيات أو الفلك أو الموسيقي ، أو الطب وعلم النجوم والكلام والفلسفة .

في هذه الأوضاع العصيبة جاء الفرنسيون بقيادة نابليون بونا برت عام ١٧٩٨م ، وأقاموا فيها حوالي ثلاث سنوات لم يهدأ في أثنائها ، ولم تستقر أقدامهم ، والحرب قائمة بينهم وبين المصريين أو العثمانيين .

يتحدث المؤرخ الدكتور شوقي ضيف ، معرباً عن هذه الأوضاع السائدة :

" في هذه الأثناء نزلت الحملة الفرنسية بقيادة نابليون بونا برت في مصر عام ١٧٩٨م ، ومكثت نحو ثلاث سنوات كانت جميعها جهاداً

[١] أحمد حسن الزيات ،تاريخ الأدب العربي ،دار المعرفة ، بيروت ، ١٩٩م ، ص ٣١٥ – ٣١٦.

عنيفاً وصراعاً مريراً قاسياً بين الشعب المصري والمعتدين "[1] .

من المعلوم أن الحملة الفرنسية على مصر بقيادة نابليون بونا برت عام ١٧٩٨م لعبت دوراً رئيسياً في النهضة العربية الحديثة ، وهي الحملة التي عرفت من خلالها البلدان العربية ولاسيما مصر فن الطباعة والصحافة العربية ، قبل هذه الحملة كانت البلدان العربية تواجه العطل الشديد والعقم والجمود وانقطعت الصلة بينهم وبين العصر العباسي الذهبي ، ومشيراً إليها يقول الدكتور شوقي ضيف :

" وانقطعت الصلة بينهم وبين الكتب العلمية الأولى التي ألفت في العصر العباسي ، والتي ألفت في العصر القريب منهم عصر المماليك ، قلما تجد من يعرف شيئاً عن كتب الأئمة مثل الشافعي أو الفلاسفة مثل الفارابي أو المفكرين الاجتماعيين مثل ابن خلدون ، لم تعد العلوم شيئاً سوى متون مثل منهج للشيخ زكريا الأنصاري الذي جمع فيه كل مسائل الفقه الشافعي "[2] .

أما من الناحية الأدبية والعقلية فقد كان للفرنسيين أثر كبير واضح في هذا المجال ، ومن المعلوم أن بونا برت جاء إلى مصر ، وكان معه نخبة من العلماء والخبراء والصناع البارعين المتخصصين في مختلف العلوم التاريخية والطبيعية والرياضية وغيرها ، وقام بتأسيس المعاهد الدراسية والمجامع العلمية والمعامل والمكتبات والمطابع ، وأيقظ الشعور بين المصريين بوجه خاص وبين العرب بوجه عام تجاه تقدم مستوى الحياة .

وإلى هذا يشير المستشرق الكبير جرجي زيدان قائلاً :

" نزل بونا برت مصر في أواخر القرن الثامن عشر ، فأقام جنده فيها ثلاث سنوات لم يهدأ في أثنائها بالهم ولم تستقر أقدامهم والحرب قائمة بينهم وبين المصريين أو العثمانيين ، ولكنه أتى مع حملته بحملة علمية ، فيها طائفة من العلماء والصناع اغتنموا الفراغ والقلاقل أحياناً ،

---

[1] الدكتور شوقي ضيف ، الأدب العربي المعاصر في مصر ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦١م ، ص ١٢ .

[2] الدكتور شوقي ضيف ، الأدب العربي المعاصر في مصر ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦١م ، ص ١٩ .

وأخذوا في تأسيس المعاهد العلمية . . . وأقاموا من المصانع والمعامل للورق والأقمشة ، وبنوا أماكن للأرصاد الفلكية والرياضيات والنقش والرسم والتصوير "[1] .

الأساليب الأدبية عند تطور الصحافة العربية :

لو أمعنا النظر في أساليب الكتابة القديمة وخصوصاً في الأساليب السائدة في القرن الأول الهجري لوجدنا أن أسلوبين متغايرين كانا سائدين : أحدهما فني يغلب عليه السجع ، وذلك كان منحصراً إلى حد بعيد على الشؤون الدينية والأخلاقية ، وثانيهما طبيعي مطلق من قيود السجع ، وكان شائعاً في المعاملات العامة من سياسية وإدارية ، ولكن بحول العصر العباسي بدأت أوضاع الأساليب الأدبية تتغير وتتحول بل تتحرر من قيود السجع ، وبرز أسلوب التوازن والترسل في الكتابة الأدبية كما نرى في كتابات الجاحظ ومعاصريه ، وفي كتاباتهم تسود الأناقة الفنية بدون أن يتقيد بسجع أو محسنات بديعية ، ولكن هذه الأوضاع لم تستمر إلى مدة طويلة ، ولم نكد نصل إلى منتصف القرن الرابع للهجرة حتى طغى السجع والتأنق البديعي على أساليب الكتابة الأدبية ، وازداد هذا الطغيان مع مرور الأيام كما يتجلى ذلك في أساليب ابن العميد والقاضي الفاضل ومن تابعهما من الكتاب العرب الآخرين .

والجدير بالذكر أن الكتاب القدماء من أهل القرنين الرابع والخامس كانوا مع تأنقهم البديعي يهتمون بالحفاظ على متانة اللغة والعبارة وجزالة الأسلوب ، ولكن مع مرور الزمن دخلت بذور الفساد في الكتابة الأدبية ، ولم نكد ندخل في العهد العثماني حتى نجد الكتابة الأدبية فارغةً من القيم الأدبية الرفيعة والإنسانية العالية والمعاني القيمة ، وما زالت الأوضاع كذلك حتى تفاقم أمرها في القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر للميلاد حين حبط الإنشاء الأدبي إلى الحضيض الأسفل ، وارتدى الملابس البالية من الغثاثة والركاكة .

ويتبلور هذا النوع من الأسلوب الأدبي أكثر وضوحاً مما أشار إليه الأستاذ شوقي ضيف فيقول :

---

[1] جرجي زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية ، ج ٤ ، ص ٣٧١ .

" وكان الأزهريون إلى قريب من عصرنا يحفظون ما يسمى مجموع المتون ، وهو مجموع يحصي كل أنواع العلم العربي ويحيله جملاً مبهمة في شعر أو نثر للحفظ والتسميع ، وكان العلماء شعروا بأنه لم يعد هناك شيئ يقال : علم حقيقي ، فهم الواحد منهم أن يتناول المتن الذي لخص فيه العلم أو بعبارة أخرى أو بعبارة أدق لغز ليحله ، وقد يكتب في الحل شرحاً مبهماً ، ليس في كثير من الأمر خيراً من المتن ، فيعمد عالم آخر إلى حل الشرح بشرح ثان يسمونه حاشية ، ويتبين لعالم ثالث أو رابع أن شرح الشرح ليس كافياً ، فيعمد إلى التعليق عليه بما يسمى تقريراً " [1] .

على كل حال ، شعر بعض الأدباء والكتاب المهتمين باللغة العربية في العصر الحديث بالقلق بهذا النوع من الأساليب ، فدعوا إلى إصلاح اللغة ونبذ الألفاظ والعبارات الفارغة من المعاني القيمة والمثل العليا وإلى الرجوع إلى المناهج التي اختطها الأئمة السابقون في نهج البلاغة وأقوال الجاحظ ورسائل ابن المعتز والخوارزمي والزمخشري وبديع الزمان والحريري وأمثالهم ، واتجهوا إلى التجديد في أساليب الكتابة ، فتمكنوا من إحياء اللغة العربية ورفع المستوى الإنشائي وحمايتها من التكلف البديعي وإسفاف العامية وركاكة العجمة ولو كان تدريجياً ، ويرجع الفضل في ذلك أسياسياً إلى عاملين رئيسين : (١) المدارس (٢) ونشوء الصحافة .

وقد لعبت الصحافة في ذلك دوراً رئيسياً في تحسين أوضاع اللغة العربية : " كانت الصحافة وسيلة لإدخال الفكر مع اللغة في دور من الديمقراطية ، والذين رصدوا هذا التحويل في اللغة في الغرب قالوا : إن لغةً خاصةً قبل ظهور الصحافة كانت تنتج وتكتب وتقرأ ولا تفهم إلا من الخاصة فقط ، لكن عند ما ظهرت الصحافة كانت مؤسسات ، جانب منها بلا شك وطني وخيري ، لكن كان منها أيضاً جانب تجاري ، والجانب التجاري يسعى إلى أن يظفر بأكبر عدد من القراء ، من أجل هذا كان لابد أن تتحول اللغة بحيث يفهمها ويحبها ويقبل عليها هذا

[1] نفس المصدر .

العدد الكبير من القراء "[1] .

بدأت الصحافة مسيرتها هزيلةً ضعيفة اللغة مع ميل إلى تسجيع العبارة ، كما جاء في العدد الأول من الوقائع المصرية :

" الحمد لله بارئ الأمم ، والسلام على سيد العرب والعجم ، أما بعد : فإن تحريم الأمور الواقعة مع اجتماع بني آدم ، المتدبجين في صحيفة هذا العالم ، ومن ائتلافهم وحركاتهم وسكونهم ومعاملاتهم ، ومعاشراتهم التي حصلت من احتياج بعضهم بعضاً ، هي نتيجة الانتباه والتبصير بالتدبير والإتقان ، وإظهار الغيرة العمومية وسبب فعال منه يطلعون على كيفية الحال والزمان "[2] .

هكذا بدأت الصحافة العربية مسيرتها ، ولكن لم تلبث أن تغيرت أساليبها وتطورت لغتها ، فبدأ الصحفي يعالج موضوعه معالجة المصور يرسم ما يؤيد تصويره حتى يبرز لعين الناظر صحيحاً سليماً ، وتقدمت الصحافة بتقدم العالم العربي عمرانياً ، وبتزايد احتكاكه بالعالم الخارجي ، حتى صار الجمهور يعتمد عليها للاطلاع على الأخبار والحصول على المعلومات العامة ، وذلك بدوره كان حافزاً للصحفيين على إرضاء الجمهور بتقديم الأخبار والمعلومات له في شكل سهل مستساغ .

يقول المؤرخ الدكتور شوقي ضيف : " فملأت الصحافة فيه هذا الفراغ ، ووصلته بالآداب الغربية وما فيها من دراسات في شئون الحياة وحقائق العلوم والمذاهب الفلسفية ، وأخذ يعبر هذا الأدب عن حاجاتنا في موضع الحاجات السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وكل ما أردناه من إصلاح في الدين وغير الدين ، بل لقد أوجد لنا صوراً أدبيةً جديدةً لم يكن لنا بها عهد ، من مثل المقالة والقصة "[3] .

---

[1] الدكتور حسن محمد توفيق ظاظا ، ماذا يريد التربويون من الإعلاميين ، ج ٢ ، مكتبة التربية العربي لدول الخليج ، المملكة العربية السعودية ، ١٩٨٤م ، ص ٧٨ .

[2] الوقائع المصرية ، العدد١ ، ١٨٢٨م ، نقلاً عن الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث لأنيس المقدسي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٦٧م ، ص ٤٤٩ .

[3] الدكتور شوقي ضيف ، الأدب العربي المعاصر في مصر ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦١م ، ص ٣٦ .

العروض العربي بين الأصالة والاستعارة

الباحث محمد سعود الأعظمي (دهلي – الهند)

علم العروض لغةً واصطلاحاً :

العَروض في اللغة " الناحية " ، وهي كلمة مؤنثة وربما ذُكرت [1] ، على وزن فَعُول جمعها أعاريض ، وللعروض معان كثيرة منها مكة والمدينة ، والناقة التي ترضع ، وميزان الشعر ، لأنه يظهر به المتزن من المنكسر .

يقول الشيخ الإمام أبو زكريا يحيى بن علي الخطيب التبريزي : " إن العروض ميزان الشعر ، بها يعرف صحيحه من مكسوره ، وهي مؤنثة ، وأصل العروض في اللغة الناحية [2] .

أصالة علم العروض العربي :

وقد اتفق علماء الأدب والتراجم مثل الجاحظ في البيان والتبيين وابن رشيق في العمدة ، وياقوت الحموي في " معجم الأدباء " وعلي بن يوسف القفطي في كتابه " أنباء الرواة " وابن خلكان في " وفيات الأعيان " وغيرهم ، على أن الخليل بن أحمد الفراهيدي هو الذي ابتكر علم العروض ، وجاء به إلى حيز الوجود كاملاً في دفعة واحدة ، واستخرج أصوله وضوابطه حتى حصر جميع التراث الشعري العربي إلى زمانه في خمسة عشر بحراً ، ثم جاء تلميذه الأخفش الأوسط وأضاف فيها بحراً سماه " المتدارك أو الخبب " ، لأنه استدرك بما فات الخليل من بحور أو تفعيلات . فأصبح للشعر العربي ستة عشر بحراً ، وهي لا تزال متداولةً إلى يومنا هذا .

فلإثبات هذا القول يبين الباحث أقوال العلماء الكبار في أصالة علم العروض التي تثبت أن علم العروض العربي غير مستعار ، وإنه هو

---

[1] ابن جني ، ابو الفتح عثمان ، كتاب العروض ، تحقيق أحمد فوزي الهيب جامعة كويت ، دارالقلم للنشر والتوزيع كويت ، ط ٢ ، ١٩٨٩م ، ص ٥٩ .

[2] التبريزي ، الخطيب ، كتاب الكافي في العروض والقوافي ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، الطبعة الثالثة ، عام ١٩٩٤م ص ١٧ .

مؤصل جذري : يقول صاحب الكتاب : المدارس العروضية : " يكاد الباحثون يجمعون على أن الخليل بن أحمد هو أول من وضع علم العروض بصورته ومصطلحاته ، إلا أن هناك بعضاً من مصطلحات هذا العلم كان متعارفاً عليه كالقصيد والرجز والسجع والخطب والرويّ والقافية والبيت والمصراع " .

يقول ابن النديم : " وهو أول من استخرج العروض وحصن به أشعار العرب " . ويقول السيرافي : " وهو أول من استخرج العروض وحصن أشعار العرب بها " [١] .

يقول ابن سلام الجمحي المتوفى ٢٣١هـ ، ثم كان الخليل بن أحمد : " . . . فاستخرج من العروض ، واستنبط منه ومن علله ما لم يستخرج أحد ، ولم يسبقه إلى مثله سابق من العلماء كلهم " [٢] .

يقول الأستاذ عبد الرؤوف : " يكاد يتفق أيضاً المستشرقون على هذا الرأي ، يقول بروكلمان : " ولا اختلاف بين العلماء على أن الخليل مبتكر علم العروض " ، وفي دائرةالمعارف الإسلامية " ويتفق كتاب السير جميعاً على أن الخليل هو واضع علم العروض وقواعده في العربية ، ولا تزال طريقته هي السائدة اليوم على الرغم من المحاولات الكثيرة الأخرى التي بذلت لوضع طريقة غيرها " [٣] .

نلخص من جميع هذه الآراء إلى أن الخليل بن أحمد الفراهيدي هو أول من لاحظ إمكانية القياس في الوزن ، وجمع الأشعار وأجرى قياسه عليها ، فوجدها على أوزان متنوعة فقام بدراستها دراسةً دقيقةً أعانته معرفته بعلم الإيقاع والموسيقى في استخراج هذا العلم ، فوضع أبعاده التي يدور حولها وحدد مصطلحاته التي تستخدم فيه وخصائصه التي تختص به

---

[١] عبد الرؤوف بابكر السيد ، المدارس العروضية في الشعر العربي ، دار آفاتار للطباعة والنشر ، القاهرة ، ٢٠١٨م ، ج ١ ، ص ٨٦ .

[٢] الجمحي ، عبد السلام ، طبقات فحول الشعراء ، دار المدن جدة ، عام الطباعة غير مذكور ، ج ١ ، ص ٢٢ .

[٣] عبد الرؤوف بابكر السيد ، المدارس العروضية في الشعر العربي ، دار آفاتار للطباعة والنشر ، القاهرة ، ٢٠١٨م ، ج ١ ، ص ٨٨ .

دون غيره من العلوم وفق طرق قياسه وتحليله وتعليله ، فكان بذلك أول من ابتكر علم العروض .

الرد على العبارات التي أثارت التشكيك :

إنَّ علم العروض ظهر على يد الخليل بن أحمد كاملاً دون أن يكون ظهوره خاضعاً لتطور وهذا السؤال الذي لا يزال في أذهان الدارسين : هل يعقل أن يولد علم كعلم العروض تاماً ناضجاً مكتملاً دون سابقة يتكئ عليها الخليل [1] ؟

النظرية الأولى والرد عليها :

يقول أحمد بن فارس المتوفى سنة ٣٩٠هـ : إن علم العروض قديم عرفته العرب قبل الخليل بن أحمد الفراهيدي ، والدليل على ذلك أن الوليد بن المغيرة قال حين سمع القرآن الكريم : " لقد عرضتم ما يقرؤه محمد – يقصد الرسول الكريم عليه السلام – على أقراء الشعر : هزجه ورجزه ، وكذا وكذا ، فلم أره يشبه شيئاً من ذلك " ، ثم يعقب ابن فارس على كلام الوليد بن المغيرة هذا قائلاً : أفيقول الوليد هذا ، وهو لا يعرف بحور الشعر [2] ؟

وجاء في كتب السير والمغازي أن الوليد بن المغيرة قال حين سمع القرآن : " لقد عرفنا الشعر كله : رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه فما هو بالشعر " .

والجواب على هذا القول : إنَّ ابن فارس قد استدل في نصه المتقدم بالدليلين التاليين : الدليل الأول : أنَّ شعراء الجاهلية وأدباءها كانوا يعرفون بحور الشعر ،وأنَّ معرفة بحور الشعر دليل على وجود علم العروض .

فلا بد من الواضح أن اختراع الخليل للعروض ليس معناه أن العرب لم تكن تعرف شيئاً عن طبيعة الأوزان قبله . بل الأدلة موجودة على أنهم كانوا يعرفون كيف يقطعون الشعر ويمتحنون وزنه ، وكل ما فعله

---

[1] خليل ، ياسين عايش ، علم العروض ، دار المسيرة ،عام الطباعة غير مذكور ،ص ١٩ .

[2] ابن فارس ، الصاحبي في فقه اللغة ، تحقيق السيد أحمد صقر ، مطبعة عيسى البابي الحلبي القاهرة ، عام غير مذكور ، ص ٤١ – ٤٢ .

الخليل هو أنه اخترع علم العروض بصيغته المعروفة الآن .

يقول الدكتور بدوي طبانة ، تحت عنوان : أوزان المعلقات وقوافيها : " أما الأوزان فقد اهتدى إليها أولئك الشعراء بوحي من فطرتهم ، ونظموا في تلك الأبحر الشعرية بآذانهم الموسيقية المرهفة التي كانت تصحح أخطاءهم ، فكانوا يضبطونها تلقائياً إذا انحرفوا عن مواقع النغم أو وقعوا في شذوذه الذي تنكره أذواقهم وأسماعهم ، كما كان لطول التجربة وكثرة المعاناة أثرهما في هذا الضبط والتصحيح من غير معلمين يوقفونهم على مواضع الخطأ والصواب " [1] .

وقد اختصر الدكتور محمد إبراهيم خليفه شوشتري في النقاط التالية : (١) أنَّ نظرية ابن فارس هذه تنتهي إلى القول بأنَّ العصر الجاهلي كان مزدهراً بابتكار العلوم التي منها علم العروض ، وعلم النحو ، وأنَّ سوق الترجمة كانت رائجة في ذلك العصر البدائي . وهذا ما أكد التاريخ نفيه . (٢) أنَّ نظرية ابن فارس هذه مخالفة لما عليه المحققون من أنَّ الشعر لم يظهر دفعة واحدة ، وإنما تمثلت بدايته بالحداء ، ثم تطور إلى الرجز ، ثم إلى المقطعات ، ثم انتهى إلى المعلقات ، والقصائد الطويلة .

فكأن ابن فارس يريد أن يقول : إنَّ شعراء الجاهلية تعلموا الوزن أولاً ، ثم بدأوا يقولون الشعر وفقاً لما يقتضيه الوزن . و ليت شعري هل يمكن أن يوجد علم الوزن قبل أن يظهر الشعر إلى الوجود ؟ وإنَّ علم الوزن أو علم العروض إنما يوجد بعد ظهور الشعر [2] . ومما يبعث على الحيرة أن ابن فارس عقد في كتابه " الصاحبي في فقه اللغة " باباً وسماه : " باب ذكر ما اختصت به العرب " . ولم يذكر فيه إلاّ ثلاثة علوم هي النحو والعروض ، وحفظ الأنساب [3] .

---

[1] طبانة بدوي ، معلقات العرب دراسة نقدية تاريخية في عيون الشعر الجاهلي ، مكتبة الانجلو المصرية ، الطبعة الأولى ١٩٥٨م ، ص ٨٠ – ٣٧٩ .

[2] محمد إبراهيم خليفه شوشتري ، مجلة الجمعية العلمية الإيرانية للغة العربية وآدابها ، المجلد ٥ ، العدد ١٢ ، ٢٠٠٩م ، بعنوان علم العروض بين الأصالة والهجنة ، ص ٧ .

[3] ابن فارس ، الصاحبي في فقه اللغة ، تحقيق السيد أحمد صقر ، مطبعة عيسى البابي الحلبي القاهرة ، عام غير مذكور ، ص ٧٧ – ٧٨ .

وأما ما يتعلق برواية التنعيم فلا بد أن يعرف الجميع أنَّ طريقة التنعيم قاصرة ، لا تجري في جميع البحور الشعرية ، لأنها لا تشمل البحر الكامل ، والبحر الوافر ، و غيرهما من البحور الشعرية والزحافات إلاّ بتأول متصور ، لأنَّ رواية التنعيم لم تشر إلى مثل : نعمْ نع لاْ مثل مفاعلتن و " لالالانَ " ، مثل مفعولاتُ في حين أنَّ هذه البحور كانت موجودة في الشعر الجاهلي ، على سبيل المثال أن أشعار معلقة لبيد ومعلقة عنترة تكون وفق البحر الكامل وإنَّ معلقة عمرو بن كلثوم تأتي تحت البحر الوافر .

النظرية الثانية والرد عليها :

وأما ما يخص النظرية الثانية التي ذهبت إلى أنَّ الخليل قد استفاد من علماء اليونان بدليل وجود كلمة ميتر اليونانية التي وردت في كتاب إعجاز القرآن للباقلاني فالجواب على هذا القول بالأوجه التالية :

كلمة ميتر من الممكن أن تكون يونانيةً ، ولكن كلمة متير ليست يونانيةً ، إنما هي عربية خالصة ، فقد ارتكب الناقلون لهذه الكلمة خطأ في نقلها ، لأنهم كتبوا ميتر بالياء المقدم على التاء ، ولكن الباقلاني أثبتها بشكل متير بالتاء المقدم على الياء وفسرها بالقطع والجذب ، ولا شك أنَّ كلمة متير بهذا المعنى عربية وليست يونانيةً ، لأن اشتقاقه من المتر ، وهو الجذب أو القطع ، يقال " مترت الحبل " أي : قطعته ، أو جذبته [1] .

وفي المعاجم العربية لم يشر واحد من مؤلفيها إلى أنَّ هذه الكلمة " المتير " غير عربية ، كما أنَّ ابن منظور ، صاحب لسان العرب ، والفيروز آبادي ، صاحب القاموس ، لم يذكرا أنَّ هذه الكلمة غير عربية .

وفي المكان الذي ذكر فيه الباقلاني هذه الكلمة قال : " حكى لي بعضهم عن أبي عمر غلام ثعلب عن ثعلب : أنَّ العرب تعلم أولادها قول

[1] الفيروزآبادي ، مجد الدين بن محمد يعقوب ، القاموس المحيط ، مكتبة إمدادية ، سهارنفور الهند ، والعام غير مذكور ، ص ٤٧٣ .

الشعر بوضع غير معقول ، يوضع على بعض أوزان الشعر ، كأنه على وزن : قفا نبكِ مِن ذِكرى حبيبٍ ومنزلِ . ويسمون ذلك الوضع " المتير " واشتقاقه من المتر ، وهو الجذب أو القطع ، يقال : مترت الحبل ، أي قطعته أو جذبته ، ولم يذكر هذه الحكاية عنهم غيره ، فيحتمل ما قاله " [1] .

النظرية الثالثة والرد عليها :

وأما ما يتعلق بالرد على الرأي الذي يقول : إنَّ الخليل استفاد من أعمال علماء الهند ، فها هو الجواب على هذا الرأي . يقول البيروني : في كتابه تحقيق ما للهند : مقولة ومقبولة أو مرذوله " وإنما طولت في الحكاية ، وإن نزرت عائدتها ليشاهد اجتماع الخفاف فيعلم أنها متحركات لا سواكن وليحاط بكيفية قوالبهم وتقطيع أبياتهم وليعرف أنَّ الخليل بن أحمد كان موفقاً في الاقتضابات ، وإن كان ممكناً أن يكون سمع أنَّ للهند موازين في الأشعار كما ظن به بعض الناس " [2] .

الرد الأول : ومن الواضح أنّ هذين العروضين متباينان لأن العروض العربي قائم على أسلوب الكم الذي يعتمد على عدد الحروف في حين أنَّ العروض السنسكريتي قائم على أسلوب الكيف الذي يعتمد على النبرات بدليل أنهم يجمعون عدة كثيرة متوالية من السواكن ، والعرب لم تجمع بين ساكنين إلاّ في الحرفين الأخيرين من البيت . وإذا كان العروضان متباينين فكيف يجوز أن يكون أحدهما مأخوذًا من الآخر ؟ أضف إلى ذلك أنَّ الدكتور صفاء خلوصي قد أكد " أنَّ الإشباع الذي هو الزامي في القافية العربية يعتبر اختيارياً في العروض السنسكريتي ، ذلك لأنَّ القافية العربية أكثر دقةً وإتقاناً من القافية السنسكريتية ، إن وجدت ، ومع ذلك فإنَّ السنسكريتية تكره القافية الموحدة ، خلافاً للعربية " [3] .

---

[1] الباقلاني ، أبو بكر محمد بن الطيب ، إعجاز القران ، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف مصر ، عامه غير مذكور ، ص ١٧٠ .

[2] البيروني ، أبو الريحان محمد بن أحمد ، تحقيق ما للهند مقولة ومقبولة أو مرذولة، دائرة المعارف العثمانية ، الهند ، ١٩٥٨م ، ص ١١٥ .

[3] عبد العزيز الدوري ، " نشأة علم التاريخ عند العرب " ، ص ٢٠ ، مركز زايد

الرد الثاني : لا يبدو من هذه العبارة المذكورة أن الخليل بن أحمد الفراهيدي كان على معرفة تامة على أن الخليل قد استفاد شيئاً من علم العروض السنسكريتي ، لأن البيروني لا يعرف هذه الحقيقة معرفة اليقين بل كان على شك لأن بعض الناس ظنوا به أو قالوا : إن الخليل سمع عن علم العروض السنسكريتي . ولكون البيروني مصدراً قديماً وحيداً يعتمد عليه في القول بأنَّ الخليل متأثر بعلماء الهند مع أنه هو غير متأكد من أنَّ الخليل قد سمع أنَّ للهند علماً في العروض .

ذكر البيروني في كتابه أن هناك علماً مثل علم النحو وعلم العروض ولو كان البيروني على شك أصالة علم العروض العربي لذكر هنا أن علم العروض العربي مستعار منه ولكنه ماذا كتب عن النحو والعروض ، وسطوره كما يلي : " . . . ذهب ذلك العالم إلى " مهاديو مصلياً مسبحاً وصائماً متضرعاً إلى أن ظهر له و أعطاه قوانين يسيرة كما وضعها في العربية أبو الأسود الدؤلى ووعده التأييد فيها بعدها من الفروع فرجع العالم إلى الملك وعلمه إياها وذلك مبدأ هذا العلم . يتلوه " جند " وهو أوزان الشعر ، المقابل لعلم العروض لا يستغنون عنه فإن كتبهم منظومة وقصدهم فيها أن يسهل استظهارها " [1] . قد اتضح من العبارة السابقة أن رأي البيروني مختلف وهو لا يؤمن بأن علم العروض العربي مستعار وإنما ذكر آراء الناس على سبيل التذكرة .

كما سبق الذكر أن أي علم من العلوم لم يأت إلى حيز الوجود إلا إذا مست الحاجة إليه ، فحينما اتسعت دائرة الدولة الإسلامية اختلط العرب بغيرهم ، وجعلوا يعيشون في بيئة واحدة ، ويتبادلون في العيش والعادات والثقافات ، وكثر ارتكاب الخطأ في استخدام اللغة العربية وأوزان الشعر أو دخلت بعض الأوزان الجديدة لم يكن للعرب بها عهد ، فبذل الخليل جهده وحصر أوزان أشعار العرب ، وعرضها أمام الناس

للتاريخ ، ٢٠٠٠م .

[1] البيروني ، أبو الريحان محمد بن أحمد ، تحقيق ما للهند مقولة ومقبولة أو مرذولة ، دائرة المعارف العثمانية ، الهند ، ١٩٥٨م ، ص ١٠٦ .

فقبلوا . يقول الدكتور إبراهيم أنيس في موسيقى الشعر : " ويروي الرواة فيما يروون أن الدافع على تقعيد هذه القواعد هو أن الخليل لما رأى ما اجترأ عليه الشعراء المحدثون في عهده من الجري على أوزان لم تُسمع عن العرب ، هاله ذلك ، فاعتزل الناس في حجرة له كان يقضي فيها الساعات والأيام يوقع بأصابعه ويحركها حتى حصر أوزان الشعر العربي وضبط أحوال قافيته " [1] .

ومن الواضح أنَّ مقاييس الشعر أو أوزانه قد استخلصت من ضروب الغناء المختلفة التي كان العرب منذ عصورهم الأولى يتغنون بها ، فالبدوي يتغنى ويترنم وهو على ظهر بعيره أو فرسه يساوق بين ترجيعه ورسيم ناقته . . . أو يحدو بناقته أو قافلته ، ويتغنى ويرجع ، وهو في الحرب يُصاول ، وينازل ، ويكر ، ويفر ، أو يلاعب الأسنة والقرناء زهواً وخيلاء ، وكذا هو في أفراحه وفواجعه ، ومآتمه ، وأعراسه يترنم جذلاً ، أو يندب حزناً ، وكل ذلك غناء وألحان وشعر ، فالشعر قرين الغناء ، وجد مع الغناء ، والغناء وجد مع الإنسان .

الخاتمة :

وخلاصة القول أن علم العروض وليد الحضارة الإسلامية ، وإن الخليل بن أحمد الفراهيدي هو الذي ابتكر هذا العلم ، وسنَّ جميع الأصول والقواعد ولم يشاركه أحد في وضع هذا العلم وتشكيل القوانين والزحافات والعلل إلا قليل كغيض من فيض . فعلم العروض علم عربيّ خالص ابتكره الخليل بن أحمد الفراهيدي ، وله حقّ البراءة في هذا الابتكار ، وكلّ العروضيّين الذين جاءوا بعده لم يخالفوه كثيراً من قدامى ومحدثين إلا في الجزئيات والقليل النادر من الاجتهادات التي يسمح بها المنهج العلمي ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإنّ العروض رصد لإيقاع ، والإيقاع بيئي لغوي وصوتي ، فالبيئة العربيّة واللغة العربيّة والصوت العربي ، كل ذلك له أسلوبه وخصائصه وسماته التي تجعل ميزانه العروضي متميّزاً عن البيئات واللغات والأصوات الأخرى التي لها أسلوبها وخصائصها وسماتها كذلك .

---

[1] أنيس ، دكتور إبراهيم ، موسيقى الشعر ، مكتبة الأنجلو المصرية ، الطبعة الثانية ، ١٩٥٢م ، ص ٤٧ .

فضيلة الأستاذ الدكتور عبد الفتاح بركة

عضو هيئة كبار العلماء وصداقة خمسين عاماً !!

الدكتور غريب جمعة – جمهورية مصر العربية

ينتشر القول على من يرغب في الحديث عن واحد من أفضل علماء الأزهر الشريف هو شيخي وأستاذي فضيلة الأستاذ الدكتور عبد الفتاح بركة – رحمه الله – لأن مجال القول في الرجل ذو سعة !!

لذلك إذا تحدثت عن شيئ من كماله فإنما أتحدث عما كنت أشهده المرة بعد الأخرى وأقرأه في وجهه سافراً لا أجد من دونه ساتراً .

لقد شرفت بالتعرف عليه عام ١٩٧١م حينما كنت في زيارة للعالم الفاضل الدكتور يوسف الشال – رحمه الله – سكرتير تحرير مجلة الأزهر في ذلك الوقت ، وسرعان ما انقلب التعارف إلى ود ظل ينمو حتى أثمر الصداقة التى يرتاب في وجودها بعض الأدباء ويزعمون أنها ثالث الغول والعنقاء ، ولقد دامت هذه الصداقة خمسين عاماً حتى لقي ربه راضياً مرضياً – إن شاء الله – .

ويعجز القلم في هذا المقام أن يرسم صورةً تمثل أو تكاد تمثل كمال الرجل من كل ناحية – ولا نزكيه على الله – وكل ما يستطيعه القلم هو :

أن يكتب سطوراً تمثل جانباً من خصاله الحميدة وخلقه الوضيئ وأدبه السني الذي كان مشكاةً من هدى النبوة وقبساً من نور القرآن الكريم ، لعل في ذلك عبرةً وذكرى لطلاب الفضيلة والمثل العليا من أصحاب القلوب التقية النقية الطاهرة .

نسبه ومولده وتعليمه ونشاطه العلمي :

هو العلامة التقي المتكلم الجليل الحسيني فضيلة الدكتور الشيخ عبد الفتاح بن عبد الله بن طه بن محمد بركة الأزهري السكندري الدمياطي الذي ينتهي نسبه إلى الإمام الحسين بن الإمام علي رضى الله عنهما .

وُلد بمدينة فرسكور بمحافظة دمياط في العاشر من رمضان سنة ١٣٥٠هـ الموافق ٩ من يناير ١٩٣٢م في بيت كريم اشتهر بالصلاح والتقوى

والتصوف والخلق الكريم .

ونظراً لحب والده للعلوم الدينية فقد ألحقه بمعهد دمياط الأزهرى ثم انتقل إلى المعهد الأزهرى بالقاهرة ثم التحق بكلية أصول الدين حيث حصل على درجة الدكتوراه منها فيما بعد ، وكان موضوع رسالته : " الحكيم الترمذي ونظريته في الولاية " .

تدرج في مناصب الأزهر حتى صار أستاذاً للعقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين ثم أميناً عاماً لمجمع البحوث الإسلامية ثم عضواً بهيئة كبار العلماء .

وقد انتدبه الإمام الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج للعمل في مكتبه فترةً من الوقت خلال حياته الوظيفية ، بل أنه اختاره وهو طالب نظراً لإجادته اللغة الإنجليزية ، ليمثل جامعة الأزهر في الوفد المصري المؤلف من شباب الجامعات المصرية الذي سيشارك في مؤتمر شباب آسيا وأفريقيا المنعقد بالعاصمة الصينية " بكين " كما سافر بعدها إلى موسكو للمشاركة في مهرجانٍ الشباب المنعقد بها أيضاً .

ثم انتدب مرة أخرى للعمل بمكتب فضيلة الدكتور / محمود حب الله الأمين العام الأسبق لمجمع البحوث الإسلامية كما اختاره فضيلة الإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود للعمل معه عندما كان وزيراً للأوقاف كل ذلك بالإضافة إلى التدريس بكلية أصول الدين .

أخلاقه وشمائله :

ترحيبه بضيفه وإكرامه له :

أذكر أنني حين ذهبت إلى زيارته أولِ مرة في منزله بمصر الجديدة طرقت الباب فلما فتح لي شاهدت بشاشة فطرية لا تكلف فيها ولا تصنع ، وابتسامة هادئة تملأ نفسك أُنساً وكلمات طيبة تشعرك كأن الرجل يعرفك منذ سنين !!

ودار الحديث بيننا في أمور كثيرة فلمست في حديثه حضور البديهة وحسن البصيرة وصفاء الذهن وسرعة الخاطر ، تناقشه فتجد نقاء السريرة وسداد الرأى ، وهو يبدي رأيه بكل صراحة دون قلب للأوضاع أو تغيير للحقائق مع احترامه لرأي محدثه ، وإن خالفه تمام المخالفة .

وتسأله فتجد سعة الاطلاع وبعد النظر وغزارة العلم وتوقد العقل وفصل الخطاب .

ولما هممت بالانصراف أصر على أن ينزل معي إلى محطة المترو لأنه يقيم في منطقة نائية ولم يكن العمران كما هو عليه الآن ولا يصح أن يتركني أنتظر بمفردي على محطة المترو .

ثم تكررت الزيارة بعد ذلك ولما يسر الله له اقتناء سيارة أصر على أن يوصلني بسيارته إلى مسكني بالجيزة وظل هذا دأبه حتى أقسمت عليه في إحدى المرات أن يوصلني إلى موقف الدراسة فقط حيث أصبحت المواصلات منها إلى الجيزة متعددة ومتوافرة واستجاب رحمه الله لذلك أمام إصراري عليه .

وهنا سؤال يطرح نفسه : كم من الناس يصنع ذلك مع ضيفه ؟

تواضعه :

على الرغم من علمه وفضله فهو متواضع أشد التواضع ، ولكنه في غير منقصة بل تواضع في حكمة وفي موضعه ، فربما خفض جناحه لذي خلق كريم لا يقيم له أصحاب الجاه وزناً أكثر مما يخفضه لصاحب جاه أو مقام رفيع ، وله في هذا التواضع أصول يمثل فيها شمم العلماء وعزة المؤمنين .

ومن الناس من إذا جلست معه قليلاً من الوقت انطلق كالسهم يحدثك في شيئ من الفخر والمباهاة بما عنده مما يتفاخر به الناس على اختلاف مشاربهم .

أما هذا الرجل فحرام أن تسمع منه كلمةً يَشْتَمُ منها رائحة التفاخر والمباهاة ولو من طريق بعيد .

فعلى الرغم من أنه شريف حسيني كما مر بك لم أعرف ذلك عنه إلا بعد عشرين عاماً !! من صداقته عندما أخبرني به أحد العلماء الذين يعرفونه قبلي بفترة طويلة ولما حدثته عن ذلك ابتسم في هدوء وودعة وقال : " إن الله سيحاسبنا على أعمالنا وليس على أحسابنا وأنسابنا ، والدي يحتفظ بسلسلة هذا النسب ، ولا يغب عن بالك قوله تعالى : (فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ) (المؤمنون : ١٠١) .

ازدراؤه لمظاهر العظمة الكاذبة :

كان رحمه الله لا يعبأ بمظاهر العظمة الكاذبة والأبهة الزائفة مهما كان شأن أصحابها الذين تهوى إليها أفئدتهم لغفلتهم عن حقيقة الدنيا وإفلاسهم التام مما يرفع أقدارهم في أعين الناس بالحق وكأن

لسان حاله يقول : (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) (الحجرات : ١٣) .

وفاؤه بالوعد ورعايتَه للعهد :

أصبح الوفاء بالوعد وصيانته من الإخلاف وحسن رعاية العهد من الأخلاق الضائعة بين الناس في هذه الأيام – إلا ما رحم ربي – وكم يتجرع الناس المرارة تلو المرارة والحسرة بعد الحسرة من جراء ذلك .

وأشهد الله أن هذا الرجل كان مثالاً نادراً للوفاء بالوعد وحسن رعاية العهد حق رعايته مهما كلفه ذلك من وقت أو مال أو مشقة ، والعجب أنه يفعل ذلك وهو راض غاية الرضا .

إصغاء الود لأصدقائه ووفاؤه لهم :

كان رحمه الله يسأل عن أصدقائه ويتفقد أحوالهم ويبذل أقصى ما يستطيع من جاهه ووقته وماله لقضاء حوائجهم وتفريج كربهم وتيسير أمرهم ما دام يستطيع ذلك ، فإن سمع كلمة شكر رد عليها بأن الشكر الحقيقى يجب أن يكون لله الذي أعان على ذلك ويسر سبله .

ولولا ضيق المجال لضربت أكثر من مثل ، ولكني أكتفي بذكر ما حدث معي شخصياً .. حينما مرت بي ضائقة مالية شديدة وأنا أعمل بجدة حيث أنهى صاحب العمل عقدي فجأة لأنني وقفت منه موقفاً – أرجو أن يكون لله – وهكذا وجدت نفسي بين عشية وضحاها في الشارع بلا عمل ومعي أسرتي ولا نجد ريالاً واحداً في الشهر وقد مكثت على ذلك لفترة ليست بالقصيرة ذقت فيها مرارة الحاجة أشكالاً وألواناً ثم فرج الله الكرب وجعل بعد عسر يسراً .

ولا أستطيع أن أصف شعور الرجل نحوي خلال هذه المحنة وإنما أترك كتابه الكريم الذي جعلته آخر المقال يصف ذلك .

صبره على قضاء الله ورضاه به :

أما عن صبر شيخنا ورضاه بقضاء الله وقدره فقد كان له القدح المعلى في ذلك ، فما رأيته في يوم من الأيام متسخطاً ولا متبرماً .. أقصى ما يقوله : الحمد لله – نصبر ونحتسب .

وكأن لسان الحال يردد ما قاله الفقيه الشافعى الأديب الشاعر قاضي القضاة علي بن عبد العزيز الجرجاني وهو :

فإن لم يكن عند الزمان سوى الذي أضيق به ذرعاً فعندي له الصبر

وقول أبي إسحاق الغزي :

إذا تضايق الأمر فانتظر فرجاً فأضيق الأمر أدناه إلى الفرج

وإليك هذا المثل : لقد أصيب شقيق له بمرض شديد ورافقته في رحلته مع أخيه لالتماس العلاج عند الأطباء وفي إحدى الزيارات حدد الطبيب المعالج موعد الزيارة الأخرى بعد فترة من تعاطي العلاج الموصوف لمتابعة الحالة ، وذهبت إلى فضيلته في الموعد المحدد بمصر الجديدة ثم انتقلنا إلى شبرا حيث يقيم أخوه مع والده وقبل أن نصل إلى المنزل بقليل طلبت أن يسبقني حتى يستعد أخاه للذهاب إلى الطبيب ، فقال بأسىً : لقد انتقل إلى جوار ربه بالأمس ولم أخبرك حتى لا أزعجك وكفاك ما قمت به خلال رحلة علاجه وأنا أعرف أنك إذا علمت بهذا الخبر ستقوم بعزاء الوالد في شبرا ولذلك جئت معك إلى هنا حتى لا نشق عليك بمجيئك من الجيزة إلى مصر الجديدة ثم من مصر الجديدة إلى شبرا !!

مكافأته على المعروف ورده التحية بأحسن منها :

أذكر أنني في إحدى الزيارات حملت بعض الهدايا الصغيرة التي يحبها الأطفال ، إلى أطفاله الثلاثة : محمد الذي أصبح مهندساً إنشائياً ، وأحمد الذي يحمل رتبة لواء ويعمل مدرساً بالكلية الفنية العسكرية ، وإيمان التي أصبحت طبيبة بشرية أما الدكتورة نهى طبيبة الأسنان فكانت في رحم الغيب .

ولما ذهبت لزيارته بعد تلك الزيارة فوجئت بالأطفال الثلاثة يحملون هدايا يفوق ثمنها أضعاف ما دفعت ثمنا لهداياهم الصغيرة ثم قالوا ببراءة الأطفال الملائكية وصوت الطفولة العذب الحبيب : لو سمحت يا عمي تفضل هذه الهدايا منا ونرجو أن تقبلها فشكرتهم ووالدهم على هذا الشعور النبيل .

ذكاؤه وحياؤه :

كان علي درجة كبيرة من الذكاء ويستطيع أن يداري فيبسط وجهاً رحباً ولساناً بالحديث رطباً وليس في استطاعته أن يداهن فيقول : للمسيئ أحسنت ، وللمخطيئ أصبت ، وللمفسد أصلحت ، ولا ينسى الناس كلمته التى ألقاها في حضور الرئيس السابق حسني مبارك حينما زار الأزهر وتعرضه للحرب العراقية الإيرانية ووصفه لها بالحرب " الحمقاء " وساق الأدلة على ذلك في جرأة عجيبة وذلك عندما كان أمين عام لمجمع البحوث الإسلامية .

أما إذا منعه حياؤه من أن يصارح جليسه بالخطأ في علم أو رأى فإنه يسلك طريقة دقيقة بعيدة عن المعارضة ولكن ليس من شأنها أن تجر إلى مناقشة وهكذا تصل رسالته إلى جليسه وكأنها قطعة حلوى وليست علقماً يتجرعه ولا يكاد يسيغه وذلك من توفيق الله تبارك وتعالى له .

لماذا أقول أستاذي وشيخي ؟

حينما أقول عن فضيلته أستاذي وشيخي فليس ذلك من فضول القول ولا من التطفيف في كيل المديح والثناء بغير حق وإنما أقوله لأنني وجدت فيه توجيه الأستاذ وود المحب ونصح الأمين ومتابعة الحريص ، حينما كتبت بحثاً بعنوان " كلمات وكتابات العلامة ابن الجوزي من روائع أدب التربية والمواعظ " وكان هذا الميدان جديداً علي فأخذ بيدي وأرشدني إلى خطة البحث وإلى المراجع ثم راجع البحث بعد كتابته حتى استوى على سوقه ، وقد شاركت بهذا البحث في الندوة العالمية الأولى للأدب الإسلامي المنعقدة في جامعة ندوة العلماء بمدينة لكهنؤ بالهند عام ١٤٠٩هـ / ١٩٨١م برئاسة سماحة الشيخ العلامة الجليل أبي الحسن الندوي وهو في غنى عن التعريف – يرحمه الله – .

ثم كانت المساعدة الثانية حينما كنت أكتب سلسلةً من المقالات عن الشيوعية ثم أشار علي بجمعها في كتاب ففعلت وصدر الكتاب بعنوان " انحطاط الفكر المادي " وكتب له مقدمة رائعة – يرحمه الله – أما المساعدة الكبرى فكانت في كتابي بعنوان " قبس من إعجاز القرآن " حيث راجعه مراجعة دقيقة وكتب له مقدمة أيضاً وشاركه في ذلك العالم الفاضل الأستاذ الدكتور أمين باشا أستاذ التفسير وعلوم القرآن بجامعتي الأزهر وأم القرى جزاهما الله خيراً عن الكتاب وصاحب الكتاب .

آثاره العلمية :

(١) الأخلاق والتصوف
(٢) العقيدة وبناء الإنسان
(٣) أخلاقيات العلم وأزمة الحضارة الحديثة
(٤) تحقيق كتاب آداب المريدين للحكيم الترمذي
(٥) تعليقات على العقيدة السنوسية الكبرى

هذا بخلاف الكتب والرسائل والمقالات بالمجلات الإسلامية التي

لم تقع تحت أيدينا مع الأسف .

وبعد هذه الحياة المباركة الحافلة بالعلم والعطاء وخدمة الإسلام والمسلمين والمسارعة إلى الخيرات والطاعات استأثرت به رحمة الله فجر يوم الأربعاء ٢٠ من ذي القعدة ١٤٤٢هـ الموافق ٣٠ من يونيو ٢٠٢١م .

ورجعت النفس المطمئنة إلى ربها راضية مرضية وهو يردد قوله تعالى : (قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُون . بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ) (يس : ٢٦ – ٢٧) .

وبعد ..

فهذه كلمة وفاء لشيخي وأستاذي فضيلة الأستاذ الدكتور عبد الفتاح بركة وهي غيض من فيض ووشل من بحر ، مما وعته الذاكرة على مدى نصف قرن من الزمان .. إي وربي إنها فيض من غيض ووشل من بحر وما بلغت معشار ما يستحقه ذلك العالم الجليل ، ولكني أرجو أن أكون قد نجحت في تقديم صورة من كماله الذى حباه الله تعالى به ، رفع الله درجته في عليين مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً .

دكتور غريب جمعة

بعض ما جاء في خطابة (بعد الدباجة) :

عندما وصل خطابكم كنت على وشك الكتابة إليك من شدة قلقي حيث حاولت الاتصال بكم في القاهرة وكلفت أولادي كذلك بالاتصال بكم في القاهرة لأنه لم يصلني منكم رد من السعودية ، ولما لم أجد إجابة من القاهرة ولا من السعودية شعرت بقلق شديد حتى وصلني خطابكم فأصبحت أكثر رغبة في الكتابة وأكثر عزوفاً عنها ، فالظرف صعب يقتضي الكتابة وشعوري بصعوبة الموقف يجعلني غير مقبل عليها ، ثم يستمر رحمه الله إلى أن يقول :

هذا وأخوكم في سعة من فضل الله ويمكن أن تحددوا لي وسيلةً لإرسال ما ترونه مناسباً من المال حتى تزول هذه الأزمة العابرة بإذن الله تعالى ، وأرجو أن تكونوا وأسرتكم بخير وصحة وعافية وأنا في انتظار إشارتكم وفي انتظار أن نطمئن عليكم ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

١٥ من جمادى الأخرى ١٤١١هـ ١٩٩١/١/١م

عبد الفتاح عبد الله بركة

الحسنُ بن الهَيثم – رائدُ البحثِ العلمي

(الحلقة الثانية الأخيرة)

الدكتور محمد أنظر الندوي *

دور ابن الهيثم في البحث العلمي :

إن ابن الهيثم كان متسماً بالفضول ، وبهذا استطاع إماطة اللثام عن كثير من أسرار الطبيعة ومعرفة أسبابها وطرق معالجتها ، وكان يعشق العلم مخلصاً له ، وكان لا يجعله وسيلةً لكسب المال والثروة . وكان يقصد من منهجه العلمي إحقاق الحق وإبطال الباطل ، وكان منعزلاً عن العقائد الموروثة والميول والتقاليد [١] .

وتتضح لنا من التجارب والأفكار التي وردت في كتابه " المناظر " ، ومن المنهج الذي كان يسير عليه في بحوثه ، ومن غرضه في جميع ما يستقر به ويتصفحه ، استعمال العدل لا اتباع الهوى ، وإنه يتحرَّى في سائر ما يميزه ، طلب الحق لا الميل مع الآراء [٢] .

إلا أنه كان يربط آراءه العلمية بعقيدته الإسلامية الثابتة المتينة ، فالربط بين العلم والإيمان هو هدف المنهج الإسلامي العظيم ، وقد انتصرت العقلية الإسلامية عندما التزمت بتطبيق هذا المنهج فكراً وعملاً وسلوكاً . فيقول : ولعلنا ننتهي بهذا الطريق إلى الحق الذي يثلج الصدر ، ونصل بالتدريج والتلطف إلى الغاية التي عندها يقع اليقين ، ونضعه مع النقد والتحفظ بالحقيقة التي يزول معها الخلاف ، ويحسم بها موارد الشبهات " [٣]

ومن ثم نرى ابن الهيثم قد رسم الروح العلمية الصحيحة ، وبيّن أن

* أستاذ مشارك ، قسم الدراسات العربية ، جامعة اللغة الإنجليزية واللغات الأجنبية ، حيدرآباد – ٥٠٠٠٠٧ anzar@efluniversity.ac.in

[١] الموسوعة العلمية ، المجلد السابع ، ص ١١٦٨ .

[٢] مروان القدومي : دور ابن الهيثم في البحث العلمي ، (مقالة) ، ص ٩ .

[٣] د . حسن الشرقاوي : المسلمون علماء وحكماء ، ص ٢٠٢ .

الأسلوب العلمي ، هو في الواقع مدرسة للخُلق العالي ، فقواعده التجرد عن الهوى ، والإنصاف بين الآراء ، وبهذا يكون قد سبق علماء هذا العصر ، في كونه لمس المعاني وراء البحث العلمي [1] .

وإنه لم يقم في كل مؤلفاته بأي عملية من عمليات السطو على بحث عالم أو اكتشافه ، ولم يتعرض لواحد منهم بالتجريح ، فقد كان يعتبرهم الرواد الأوائل والأساتذة الذين تعلم على أيديهم ، وهذا هو الوفاء لمن سبق من العلماء .

يقوم المنهج العلمي الحقيقي على دعائم الفحص والتصحيح ، ويرفض الاعتناق بالمسلمات ، التي لا تقبل الجدل أو الدراسة ، والتحقق من ثبوتها . . . . وفي ضوء الدراسة نتوصل إلى أن ابن الهيثم لم يقم إلا بهذا الفعل في عمل البحث .

يرتكز منهج ابن الهيثم العلمي في البحث والتنقيب بقوة إلى الأصول الجذرية للحقائق العلمية ، ويبتعد كل الابتعاد عن النزوات والأهواء والتلوين الذاتي لحقائق الحياة . أطلق ابن الهيثم صرخةً في مجال البحث العلمي ، وهي صرخة " لا ذاتية في العلم " ، وكان يؤمن بأنه ليس في وسعنا أن نخضع حقائق الوجود وحقائق القوانين العلمية لأي مستوى من مستويات الانفعال الشخصي أو الاتجاه الذاتي . . . إن الحقيقة أكبر من عملية الاحتيال عليها [2] .

" ونحن لسنا براء مما هو في طبيعة الإنسان من كدر البشرية " هذه الجملة وثيقة علمية وفلسفية وتاريخية أعطاناها ابن الهيثم في ميدان البحث العلمي . وهذه كلمات تلخص نفسية ابن الهيثم وما ينطوي عليها من الموضوعية والتواضع . وهو يعترف أن شوائب الذاتية وعكرها هي توجد في النفوس الإنسانية ، وأن العقل البشري ليس في إمكانه اللاتخطي .

---

[1] قدري طوقان : تراث العرب العلمي ، بيروت ، دار الشرق ، ص ٢٩٩ .

[2] د . عز الدين إسماعيل وآخرون : الحسن بن الهيثم ، بيروت ، دار العودة ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٤م ، ص ٤٠ .

منهج ابن الهيثم في البحث العلمي :

بالرغم من أن ابن الهيثم كان لا يغادر المكتبة ليذهب داره قبل أن تغيب الشمس ، إلا أنه ما يكاد يدخل داره ، حتى يدخلها وكأنه قد قدم لتوه من أحد المنتزهات ، وقد جدَّد نشاطه ، ليقوم بنشاط آخر . . . نشاط لم يقم أحد من العلماء به من قبل . . . وهو كيفية اتباع الطريقة العلمية في البحث العلمي [١] .

فلقد وجد ابن الهيثم أن الحس والعقل هما الطريقان اللذان يوصلان إلى الحقيقة ، وليس بالعقل وحده . . . . ولا بالحس وحده . . . فالطريقة تبدأ بمشاهدة الباحث للأمور الطبيعية على ما هي عليه في الواقع ، ثم يلي ذلك جمع الحقائق التي شاهدها الباحث ، ثم لتبويبها ليبحث : هل توجد علاقة بين تلك الحقائق ؟ . . . وهذه العلاقة بين تلك الحقائق يطلق عليها قانون أو نظرية علمية .

وإذا توصل الباحث إلى هذا القانون العلمي أو النظرية العلمية يقوم بالبحث عن صحة هذه النتايج التي توصل إليها ومطابقتها للواقع بالمشاهدة أو التجربة . . . فإذا تحققت تلك النتائج على هذه الصفة ، كان ذلك دليلاً على صحة تلك العلاقة . وإذا تبين قصورها بعدم اتفاقها مع الواقع ، بالرغم من محاولة تعديلها ، فتطرح هذه العلاقة جانباً لأنها لا تتفق مع الواقع . . . وهذه الطريقة التي اتبعها الحسن بن الهيثم هي أسلوب البحث العلمي في وقتنا الحالي [٢] .

يعدّ ابن الهيثم مؤسساً رئيساً للمنهج العلمي قبل الأوربيين بقرون . على أنه سار على خطى جابر بن حيان الذي اهتم بالتجربة ، وسماها " الدربة " [٣] .

وقد لخص الدكتور عمر فروخ منهج ابن الهيثم في كتابه " تاريخ العلوم عند العرب " بالنقاط التالية : " اتبع ابن الهيثم في بحوثه كلها – وخصوصاً ما كان منها في الضوء – منهاجاً علمياً بناه على الاستقراء

---

[١] محمد فتحي صبري : الحسن بن الهيثم رائد البحث العلمي ، ص ٩ .

[٢] المرجع السابق ، ص ١٠ – ٩ .

[٣] أ . د . عبد المجيد نصير : الحسن بن الهيثم في عجالة ، (مقالة) ، ص ٥ .

(استخراج القاعدة العامة من مفردات الوقائع) في الأكثر ، وعلى الاستنباط (تفريع الأحوال المفردة من القاعدة العامة) أحياناً . وهو في ذلك كله يلجأ إلى القياس (الموازنة بين الوقائع المختلفة والمقارنة بين النتائج) . وكان سبيله إلى ذلك المشاهدة (النظر في الأمور الجارية في بيئتها المخصوصة) والملاحظة (التفطّن لما يتفق وما يختلف من هذه الأمور) ، ثم كان يقوم بتجاربه على هذه الأسس كلها مرةً بعد مرة " [1] .

عمر فروخ يضيف قائلاً : " وقد بالغ ابن الهيثم في اعتماد التجارب حتى إنه أعاد إجراء التجارب على عدد من الأمور التي كان الأقدمون (اليونان) قد جرّبوها واستخرجوا قواعدها . انتهج ابن الهيثم هذه الخطة العلمية حيث إنه كان عالماً رياضياً وفيلسوفاً نظرياً ، وكان يحيط بالعلوم الطبيعية ، فالرياضيات مكنته من تنظيم بحوثه ، والفلسفة ساعدته على حُسن تخيّل الأمور . ثم إن إعجابه بمنطق أرسطو وتفهّمه الدقيق لأقسام ذلك المنطق زاده مهارةً في التنظيم عند تتبع البحث وإجراء التجارب . ثم إنه كان حَسَنَ التبويب في تدوين النتائج التي وصل إليها . . . وكذلك سكّ ابن الهيثم ألفاظاً وأسماء أصبحت مصطلحات فنية في علم الضوء (البصريات) وخصوصاً فيما يتعلق بتشريح العين . ولا يمكن البحث في علم أو فن ما لم تتحددْ ألفاظه وتتعينْ مصطلحاته ، وحينئذ فقط يصبح البحث فيه ممكناً ومُجْدِياً " [2] .

" هذه الخطة التي سار عليها ابن الهيثم في معالجة علم الضوء خاصة هي التي سمَّاها الباحثون فيما بعد بالأسلوب العلمي . والأسلوب العلمي هذا هو الذي أدى إلى النتائج الرائعة التي وصل إليها العقل الإنساني في كل ميدان من ميادين العلم وفي كل منحى من مناحي الحياة . وإن كثيراً مما يُنسب إلى روجر بايكون خاصةً [3] – من أنه أبو الأسلوب

---

[1] عمر فروخ : تاريخ العلوم عند العرب ، ص ٣٦٨ .

[2] المرجع السابق ، ص ٣٦٩ .

[3] Roger Bacon (ت ١٢٩٢م – ٦٩٣هـ) فيلسوف وعالم إنكليزي . وأساس شهرته أن كان من الدعاة إلى العلم التجريبي ، مع أنه لم يكن أبرع في العلم التجريبي وفي إجراء التجارب العلمية منه في الرياضيات . (عمر فروخ : تاريخ العلوم عند العرب ،

العلمي والمُبتكر لعدد من الحقائق في علم الضوء – قد أخذه روجر بايكون عن ابن الهيثم ثم نقله إلى الغرْب الأوروبي ، كما قال نفر من علماء الغرْب أنفسهم " [1] .

كتب الأستاذ محمد فتحي صبري " . . . . وأما ما نشاهده اليوم من تقدم في كافة مجالات حياتنا والذي يرجع إلى أسلوب البحث العلمي الذي أرسى مفهومه الفيلسوف جورج بيكون . . فهو في الحقيقة الأسلوب الذي أخذه جورج بيكون نفسه من فكر الحسن بن الهيثم . . أسلوب البحث التجريبي " [2] .

خلاصة القول :

لا مراء في القول أن الإنجازات التي حاز عليها الفيلسوف الفيزيائي الحسن بن الهيثم ، تكفي لكي تضعه في قائمة العلماء العظماء الذين أعطوا البشرية حصاد عقلهم ، وبسببه دخلوا التاريخ من أوسع بواباته وأطلوا على الإنسانية من أكبر نوافذها . إن أعظم خدمة أسداها ابن الهيثم للعلم ، هو إبداع الأسلوب العلمي ، والنتايج البديعة التي أسفرت عنها تجاربه وتطبيقاته . وثق ابن الهيثم أن الغرض من البحث طلب الحقيقة لا الميل إلى الآراء واتباع الهوى . ربط ابن الهيثم بين العلم والإيمان حيث إنه ربط عقائده الإسلامية بآرائه العلمية . قد سبق ابن الهيثم ، بيكون في الاعتناق بالطريقة العلمية والاتخاذ بأسبابها ووسائلها ، بل كان ابن الهيثم أوسع منه أفقاً وأعمق تفكيراً . أغذى ابن الهيثم من خلال بحوثه وكشوفه ، اللغة العربية في المفردات والمصطلحات العربية التي هي متداولة بين العلماء .

لقد عرف المتقدمون نبوغ ابن الهيثم في العلم ، وعرف الأقدمون دوره البارز في البحث العلمي ، فلذا أكثر الغربيون وبخاصة منذ القرن الثالث عشر الميلادي ، في نقل كتبه في موضوع الفلك والفيزياء ، فكانت هي التي أثرت في اتجاه العلم في أوربا ، وسلك الأوربيون نحو وجهتهم المستقيمة في البحث العلمي . والحمد لله أولاً وآخراً .

الهامش ، ص ٣٧٠ .

[1] راجع مثلاً (نقلاً عن عمر فروخ : تاريخ العلوم عند العرب ، ص ٣٧٠ .

[2] محمد فتحي صبري : الحسن بن الهيثم رائد البحث العلمي ، ص ٣٩ .

٤٨ / سنةً

في ظلال تربية الإمام العلامة أبي الحسن الندوي

(الحلقة العاشرة)

بقلم : سعيد الأعظمي الندوي

تعريب : الأخ معصوم علي الندوي

إنشاء هيئة قانون الأحوال الشخصية لعموم الهند :

الحرب الهندية الباكستانية ، وتأسيس دولة بنجلاديش ، وتوتر الأوضاع ، وسيادة اليأس على القلوب ، والخوف من انتهاء الهوية الإسلامية ، والخطر من الاندماج في التيار الهندي الوثني ، كل هذه الأمور قوضت شخصية المسلمين في البلاد ، وبدأت تلعب دوراً سلبياً في تشوية مستقبل المسلمين الهنود ، وبدأ الساسة الانتهازيون استغلالهم وتملق الحزب الحاكم لتنازل المسلمين عن حقوقهم الدستورية ، وكانت هذه الفترة فترة محرجة لدرجة أنه لو لم يتم علاجها على عجل لجعلت المسلمين مواطنين من الدرجة الثانية إلى الأبد ، بلا صوت لهم ولا وزن ، ويكونون محرومين من حقوقهم .

وكان الوضع حرجاً للغاية ، وكان العلماء الغيارى يدركون الأمر وخطورته ويتفرسون فيه بوادر المستقبل المظلمة في هذه الديار النائية عن أصله ، فكان القلق طبيعياً ، وكان لا بد من إعداد خطة عمل يبعث الثقة في نفوس المسلمين ، ويعيد نور الإيمان المفقود إلى قلوبهم ، حتى يتعرفوا على أنفسهم كعنصر مهم لهذا البلاد ، وينكروا الأشياء التي تتعارض مع دينهم وعقيدتهم ومبادئ شريعتهم تعارضاً صريحاً ، ويرفضون قبولها بجراءة دينية وحماسة إيمانية ، ولا يشوبهم شائبة الشرك وعبادة الأصنام ، وإن كان المراد من الانضمام في التيار القومي معصية الله ورسوله فالفرار منه أولى ، وكذلك يعتبر المسلم رمزاً للعار والشنار فالابتعاد منه أحسن ، ورفض كل فكرة تتصادم مع دينه وهويته جزء من الإيمان والعقيدة .

في هذه الظروف الحرجة إذا لم يقرر العلماء إنشاء مجلس ينوب عن مسلمي الهند لذهب إيمانهم في تيارات الوثنية ، لأن الخطر لم يكن

على إيمان رجل أو رجلين ، بل نجحت قوات الشرك في تنفيذ خطة تحتم على إعادة تاريخ الأندلس في هذه البلاد ، فيجبر المسلمون على ترك بلادهم واتخاذهم الوثنية ديناً جديداً لهم ، فكانت الأوضاع تحتاج إلى تغيير وانقلاب وبغاية من الدقة والصرامة والاحتياط ، وكان من الواجب إقامة وحدة دينية بين الفئات المختفية من المسلمين لصد المخططات الهدامة مثل القانون المدني الموحد ، على الرغم من أن العديد من المسلمين الانتهازيين أرادوا التغيير في إطار الشريعة ، وتحليل الهوية المسلمة التي ظلت شعاراً للإسلام والمسلمين منذ أربعة عشر قرناً ، وكانت أصوات الانضمام إلى التيار الوطني تتعالى ، وكان الوجود الإسلامي في خطر الذوبان مثل الثلج ، في مثل هذه الظروف نصر الله عباده المخلصين وعلماءه الربانيين ، وجعلهم يقومون بتضحية النفس والنفيس للحفاظ على قانون الأحوال الشخصية والأسرة المسلمة ، فكانت فراستهم تبدي مخططات الأعداء ومخاطرها ، مشاهدين مستقبل المسلمين في هذه البلاد ، فقامت جماعة بتوفيق الله سائلين الله عظمة الإسلام والمسلمين ، وكان فيمن تنبه لهذا الخطر وشعر بفداحته لأول مرة الشيخ المقرئ محمد طيب القاسمي ، والشيخ السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي ، والشيخ محمد منظور النعماني ، والشيخ منت الله الرحماني ، فاستشاروا في الأمر ، ووافق على ذلك العلماء من أعضاء المجلس الاستشاري الإسلامي والجماعة الإسلامية ، ودار العلوم ديوبند ، ومظاهر العلوم ، وندوة العلماء ، وتقرر أن يعقد اجتماع في هذا الموضوع في ٢٧ – ٢٨/ ديسمبر عام ١٩٧٢م ببومبائي ، بعنوان : مؤتمر قوانين الأحوال الشخصية للمسلمين . ويُدعى إليه جميع الممثلين من جميع الفئات والطبقات والفرق والجماعات من المسلمين ، وتقام بتعاونهم وتضامنهم جميعاً جبهة قوية منظمة ضد هذه الفتنة . وقد كتب الشيخ الندوي عن هذا بذكر السادة الفضلاء الذين شاركوا في المؤتمر :

" لم يكن يشاهد مثل هذا التمثيل الكامل للملة الإسلامية في الهند من قبل ، فمن بين المشاركين الشيخ برهان الحق الجبل فوري باحث وزعيم الفرقة البريلوية ، والشيخ السيد كلب عابد ممثل فرقة الشيعة ، والشيخ الطبيب نجم الهدى ممثل وكبير علماء طائفة بوهرا ، ومن أهل الحديث العديد من العلماء والقادة المؤثرين . وعقد اجتماع كبير في ساحة كبيرة لمدن بورا اسمها (WMCA) تجمع فيها حشد كبير من الناس يبلغ عددهم حوالي ١٠٠٠٠٠ من الناس ، وألقى فيها العلماء خطابات فكرية وعلمية ، لقد تعاون مسلمو بومبائي بل جميع

مسلمي ولاية مهاراشترا مع هذه القضية بحماسة كبيرة ، وقاموا بأداء واجبات المضيف بسخاء ، وتم إنشاء هيئة الأحوال الشخصية بالهند ، واتفق الأعضاء جميعاً على الشيخ المقرئ محمد طيب رئيس دار العلوم ديوبند ، ليكون لها رئيساً ، وانتخب الشيخ السيد منت الله الرحماني الأمين العام للهيئة ، وهكذا بدأت هذه المهمة المباركة التي كانت قضية موت وحياة للمسلمين (من جهة دينية وشرعية) ، ولا يزال هذا الصراع مستمراً .(في مسيرة الحياة ج٢ص ١٣٨)

ظهرت تقارير الاجتماع في المجلات والصحف بعد المؤتمر ، وهي تظهر أن هذا المؤتمر حصد نجاحاً باهراً ، حيث شاركت جميع المدارس الفكرية للمسلمين الهنود وممثلي جميع الجمعيات السياسية والدينية والثقافية في هذا المؤتمر ، وأعلن الناس جميعاً بأنهم يبذلون نفسهم ونفائسهم للحفاظ على الشريعة الإسلامية ، ولا يقصرون فيها أي تقصير ، وأن نفوسهم لله وفي الله . وكتبت الصحف بوضوح أنه لم يشهد في تاريخ السياسة الإسلامية في الهند مثل هذه الوحدة وهذا الحماس من ذي قبل .

وتم تشكيل هيئة تتكون من علماء شرعيين وخبراء قانونيين من أجل التطبيق العملي لقانون الأحوال الشخصية للمسلمين وبقائه واستقراره ، وانتخب رئيسه الأول الشيخ المقرئ محمد طيب بالإجماع ، والشيخ السيد منت الله الرحماني الأمين العام لها ، وأصبح الشيخ السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي رئيساً للهيئة بعد الشيخ المقرئ محمد الطيب وبقي رئيساً له مدى الحياة . والشيخ مجاهد الإسلام رحمه الله تولى منصب الرئيس بعد وفاة الشيخ الندوي ، وعلى الرغم من مرضه وضعفه ، خدم المجلس بشتى الطرق حتى أنفاسه الأخيرة ، وبعد وفاة الشيخ مجاهد الإسلام تم انتخاب سماحة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي رئيساً للهيئة ، وهو يقود الأمة الهندية بحكمة وبصيرة ، ومن بين الأعضاء المميزين في جماعته ، كان الشيخ السيد خالد سيف الله الرحماني عضواً مهماً من حيث خبرته وعلمه وسعة نظره وإصابة رأيه ، ولا يزال في خدمة المجلس حتى اليوم مخلصاً لله تعالى ، وقد انتخب حديثاً الأمين العام للهيئة .

رحلة دعوية إلى أفغانستان وإيران ولبنان وسوريا :

على دعوة من معالي الشيخ صالح القزاز (الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي ، مكة المكرمة) سافر وفد من الرابطة في قيادة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي إلى أفغانستان وإيران ، وذلك في

الفترة ما بين ٤/ يونيو ١٩٧٣م – ٢٠/ أغسطس ١٩٧٣م ، وكان الوفد يتكون من الشيخ أحمد محمد جمال أستاذ جامعة الملك ، والشيخ عبد الله عباس الندوي بقيادة الشيخ الندوي ، زار الوفد خلال هذه المدة كثيراً من المدن ، ولقي مشائخها وعلماءها ، وألقى في الحفلات العامة والخاصة كلمات قيمة ، ومكث في إيران عشرة أيام ، ثم ذهب إلى لبنان وسوريا والعراق ، ولقي كبير وزراء لبنان معالي الشيخ تقي الدين الصلح ، كما زار الشيخ المفتي أمين الحسيني وبعض أعضاء البرلمان ، وكانت إقامة الوفد في دمشق ثلاثة أو أربعة أيام ، ثم زار الوفد العراق ، وجامعة بغداد ، والمجمع العلمي العراقي ، والمجمع العلمي الكردي ، والمتحف العراقي ، وخطب الشيخ الندوي في جامع الشهداء بعد صلاة الجمعة ، وكانت خطبته تدور حول هذه الآية : (لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَاباً فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ) ، وكانت الأردن آخر بلاد في هذه الرحلة ، فلقي الشيخ الندوي رحمه الله الملك حسين ، وتبادل معه الأفكار ، وخطب هنا في بعض المناسبات حول : مشاكل الشباب المسلم وحلولها .

أولى الرحلات للشيخ الندوي إلى الإمارات :

لقي الشيخ عبد الله علي المحمود في مكة المكرمة الإمام الندوي في موسم الحج ، والتمس منه أن يزور دولة الإمارات ، فلبى الإمام الندوي رحمه الله هذه الدعوة ، وسافر إلى الإمارات ، وكان معه الأستاذ محمد واضح رشيد الحسني الندوي ، وكاتب هذه السطور ، فاستقبلنا على مطار دبي الشيخ عبد الله علي المحمود وبعض رفاقه ، وكانت إقامتنا في منطقة خان في فندق كبير ، وبعد قليل زار الإمام الندوي حاكم الشارقة الدكتور الشيخ سلطان محمد القاسمي وأبدى سروره على هذه الزيارة ، وكان الفندق على ساحل البحر ، فكانت الأمواج تتلاطم بالساحل ، فسألني الإمام الندوي عنه ، فقلت : لعل هذا الصوت لأمواج البحر ، فقال : لا ، إن البحر يسبح لله تعالى ، قال تعالى : (وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ) .

وفي اليوم التالي كانت محاضرة الإمام الندوي في مسجد علي بن أبي طالب بالشارقة ، وكان موضوع المحاضرة : خليج بين الإسلام والمسلمين ، وكانت محاضرته الثانية في مكتبة كمال حمزة حول : كيف دخل العرب التاريخ ، ثم سافر الإمام الندوي في عام ١٩٧٦م إلى الإمارات على دعوة من الديوان الأميري ، ورافقته أنا والأستاذ محمد واضح رشيد الحسني الندوي ، كما جاء الشيخ عبد الله عباس الندوي من مكة المكرمة ، وكان الشيخ تقي الدين الندوي مرافقاً للإمام الندوي في هذه الرحلة .

شجرة طيبة أصلها ثابت ، وفرعها في السماء

محمد فرمان الندوي

طُبع الإنسان على إجادة عمل وإتقانه من أول يومه ، فأودع التعبير الجميل عن فكره في بنيته وهيكله ، وقد أكرمه الله بصفة البيان ، وهي صفة لم يكرم بها إلا الإنسان ، وقد ظهرت منه روائع وبدائع من الكلام ما يندر نظيره ، وكفاك علماً – يا تُرى – أن اللغة العربية في تاريخها المسجل من العهد الجاهلي إلى عصر النهضة قد اختزنت كنوزاً ولآلئ تتجمل بها ناصية البيان ، فضلاً عن التاريخ اللغوي الأدبي الذي يبتدئ من سيدنا آدم عليه السلام إلى ما قبل العصر الجاهلي .

علاقة بين الأدب والصحافة :

كان الأدب العربي يُستخدم في قديم الزمان للأسجاع والأمثال والحكم والوصايا والخطب والأخبار القصصية والقصائد العربية ، وهذه الأنواع كانت ذائعة الصيت ، ونالت قبولاً واسعاً في المجتمع الجاهلي ، وكانت هناك قصص وحكايات للحروب والملاحم تُحكى وتُروى على ألسنة الناس ، وذلك في أسلوب شيق ، وطراز معسول سائغ للسامعين ، فيكب الأطفال والصبيان والشبان والفتيان على سماعها ويفعمون بها قلوبهم حماسةً وشوقاً إلى الحروب والمعارك ، وقد نالت مجالس الأمراء والسلاطين منها حظاً وافراً ، فلم تكن هذه القصص حديث المنازل والبيوت فقط ، بل حُكيت من على منابر الحكام والولاة ، وقد تناول الشعراء ببيانها في الأسواق والمحافل العامة ، فكانت هناك قصص تاريخية ، وقصص أخلاقية ، وقصص فكاهية ، وقصص اجتماعية ، وقصص فنية ، فحاز الأدب العربي بهذه القصص ثقة الخاصة والعامة ، وكان الأدب العربي هو الكلام الإنشائي البليغ الذي يهدف إلى التأثير في عواطف القراء والسامعين ويملك مشاعرهم ويستولي على ضمايرهم ، وهذا الأدب بالنثر والشعر ظل ساري المفعول يسحر القلوب ، ويبهر العيون ، ويتحف بالطرائف الأدبية ، والنكت العلمية ، فكان المولعون بالأدب يروون غلتهم الأدبية ويشفون ظمأهم العلمي .

هذا ، وقد راج في القرن العشرين الميلادي في العالم العربي صنف

آخر للتأثير في النفوس والأرواح ، والوصول إلى ذهن المخاطبين بأحسن أسلوب ممكن ، وهي الصحافة ، هذه الكلمة وإن كانت قديمة الاستعمال ورد ذكرها في القرآن الكريم ، لكن لم تستعمل في هذا المعنى الذي شاع استعماله الآن ، وهي وظيفة اجتماعية ، مهمتها توجيه الرأي العام ، وتزويد الناس بالمعلومات والآراء والأفكار والأنباء ، سواءً كان ذلك بالكتابة أو الصوت أو بالصورة المرئية ، وكان لها من التأثير ما كان للأدب العربي من قبل ، بل دخلت الصحافة في أقسام الأدب العربي وبدأت تعمل عملها بكل استمرار .

الصحافة الإلكترونية بين الإيجاب والسلب :

ثم انبثق من الصحافة المطبوعة نوع آخر من الصحافة ، وهو صحافة إلكترونية ، وظهر هذا الصنف حينما حدثت ثورة إعلامية في عالم المعلومات ، فتحول العالم من أقصاه إلى أقصاه ، وصار قريةً واحدةً ، بل في متناول كل يد ، فيمكن لكل إنسان أن يتصل في لحظة واحدة بأخيه في منطقة أخرى ، ومن ثم اخترعت صحافة إلكترونية ، فالصحافة إلكترونية حديثة العهد بنا ، لم تظهر إلى منصة العالم الحديث إلا في أواخر القرن العشرين الميلادي ، وهي ترسل المعلومات بأسرع ما يمكن إلى الآخرين ، بأدنى تحريك يد ، ولا شك أن من إيجابياتها تقديم الأخبار بسرعة وسهولة الوصول إلى الأخبار والأنباء ، لكن لا يغض منه النظر أن التدقيق والغربلة أصبح نادراً في هذه الصحافة ، فكل ما سمع الإنسان من نبأ أو خبر أرسله إلى رجل آخر بدون تنقيح وتمحيص ، ثم نجمت له من الآثار السلبية على المجتمع ما لا يمكن استدراكه .

إن تاريخ الصحافة المطبوعة في تاريخ العالم يرجع إلى القرن السادس عشر الميلادي حسب ما ذكره المؤرخون ، حينما وجدت الطباعة ، وقد نالت لبنان ومصر في العالم العربي التقدم والأولية في هذا المجال ، بعد حملة نابليون بونابارت الفرنسي الذي أتى بآلات الطباعة ، فأصدرت صحفاً عربيةً كانت سبباً للتأثير على الناس والأخذ بمجامع قلوبهم ، ويكفي على سبيل المثال حديقة الأخبار ، والتنبيه والوقائع المصرية ومرآة الأحوال والسلطنة ، هذه كلها أولى الصحف والجرائد التي فتحت آفاقاً واسعةً للالتقاء الشعبي والتعبير عما في ضمائر الإنسان ، ثم تقدمت هذه الحركة الصحفية ، واستمر صدور الصحف في أكثر الدول العربية ،

يقدم من منصاتها الصحفيون والمحلِّلون مقالاتهم وآراءهم وأفكارهم ، وكان لهذه الأفكار صدى واسع على المستوى العالمي ، وحينما قام نظام الجمهورية في الدول والبلدان أصبحت الصحافة ركناً رابعاً له من بين الأركان الثلاثة : محكمة العدل ، والهيئة التنفيذية ، والمجلس التشريعي . وتعتبر في النظام الجمهوري الصحافة أداة مؤثرة لصياغة الآراء لحزب أو جماعة ، ووسيلة قوية لبناء حكومة أو هدمها أو إزاحتها .

هذا العصر وإن تطورت فيها الصحافة الإلكترونية تطوراً مدهشاً ، لكن الصحافة المطبوعة ما يحمل من أهمية ومعنوية لا يستهان بها ، ولا ينكر فضلها ، ذلك لأن الإنسان يقرأ الصحف الإلكترونية في الجوالات والأجهزة الإلكترونية ،ويطلع على معلومات ودراسات خاصة ، لكن كما قال الخبراء إن هذه المعلومات العاجلة لا تستقر في الأذهان إلا قليلاً ، يدرس القراء كثيراً من الصفحات ، لكن إذا أغلقوا الجهاز أو الماكينة فكأنهم نسوا أو تناسوا هذه المعلومات ، ولم يدرسوا شيئاً من الكتب المطبوعة ، وإن كثرة القراءة في الأجهزة الإلكترونية تجلب من المضار على العين والذهن ما لا يوصف ، فكانت الحاجة إلى أن تكون أمام القراء ورقة مطبوعة ، أو كتاب مطبوع أو مجلة وصحيفة منشورة ويقرؤها القارئ بتؤدة وطمأنينة ، ويتأمل فيها ، ويستنتج من النتائج والنكت الفكرية والأدبية والعلمية ، ولا مانع من قراءة الصحف الإلكترونية والمؤلفات الإلكترونية قراءة سريعة ، والمرور بها مروراً عابراً ، إذا كانت قلة الوقت أو ضيق الساعة ، ولا شك أن هذه الأجهزة نعمة من الله كبيرة ، وهي تكفي لمعرفة وجود الله في الكون فضلاً عن التأمل والتدبر فيه ، وقديماً قال الشاعر العربي :

وفي كل شيئ له آية تدل على أنه واحد

شجرة طيبة أصلها ثابت ..... :

ومن الصحف المطبوعة والصحف الإلكترونية مجلتنا " البعث الإسلامي " ، فإنها تصدر بفضل الله تعالى من ٦٨/ عاماً بكل استمرار ، وهي ما زالت ولا تزال تصدر حتى زمن الإغلاق العام ، وأرسلت إلى كل جهة معنية بالصحافة العربية ، وقد قيض الله لها منذ أول يومها رجالاً مخلصين مكبين على مواصلة هذه المسيرة الصحفية ، فمنهم من قضى نحبه ، ومنهم يُثري ويتحف الآن هذه المجلة الهادفة البناءة بإشراقاتهم

وإنتاجات فكرهم ، ويكون نكران للجميل أن لا نذكر منشئها ورئيس تحريرها الأول فقيد الدعوة الإسلامية الأستاذ محمد الحسني رحمه الله الذي قاد هذا الموكب منذ عام ١٩٥٥م بتعاون كريم من صديقه المخلص الوفي سعادة أستاذنا الدكتور سعيد الأعظمي الندوي (رئيس تحرير المجلة من أكثر من أربعين سنة) ، فإن المجلة لم تكمل ربع قرن من الزمان حتى غادر إلى رحمة الله تعالى ، ولحق بركب الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين ، ثم آلت إلى سعادة أستاذنا جميع المسئوليات الإدارية والتحريرية ، واعتبرت بعض الجهات صدور المجلة نوعاً من المحال ، لكن توفيق الله حالفه ، وبذل في توسعة نطاق المجلة كل ما أمكن له من الإمكانيات ، وساعده فضيلة الشيخ السيد محمد واضح رشيد الحسني الندوي بكتاباته العلمية والأدبية ، فكانت المجلة مصداقاً لقوله : " كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء " .

وقد حلم منشئ المجلة في عددها الأول بأن تكون هذه المجلة نقطة اتصال وهمزة وصل بين الهند والبلاد العربية الشقيقة ، فلا شك أن هذه المجلة لم تكن همزة وصل فقط ، بل تخطت الحدود والثغور ، واحتلت مكانة طليعة الجيش للبلدان العربية ، فأهابتها من الأخطار المحدقة بها ، وزوّدتها بالعلم والثقافة ، ومنهجية البحث والدراسة ، ونالت بحمد الله من الاعتبار والثقة في الأوساط العلمية ، بحيث يعتبر كبار الأدباء نشر مقالاتهم فيها سعادةً ومفخرةً لهم ، ولا تزال تأتي إلى مكتب المجلة من الدراسات العلمية والبحوث الأدبية للباحثين والدكاترة المعروفين ، فتزدان بها صفحات المجلة ، وقد وصلت إلى مكتب المجلة رسالة من لبنان ، مفادها : " والحق نقول : إننا كلما تصفحنا البعث الإسلامي الموقرة وجدناها دقيقة المباحثة ، قوية المجادلة ، شريفة المعاركة ، مبرورة المنافسة ، فإذا صدر عدد جديد كان ريحانة كل أريب ومنية كل أديب " (مجلة التقوى من طرابلس ، لبنان) ، وقديماً أشاد بذكرها فضيلة الشيخ عبد الله خياط رحمه الله (إمام وخطيب المسجد الحرام سابقاً) : " إن مجلة البعث الإسلامي كان لها من التوفيق أن تشق طريقها منذ صدورها بعيدةً عن التعثر والتعويق في إصدارها أو ضم عدد إلى آخر ، وذلك أثر معية الله لها ، ومن يكن الله معه يأتي بالعجائب " (البعث الإسلامي ، المجلد السابع والعشرون) ، هذا غيض من فيض ، ندعو الله تعالى أن يجعل التوفيق حليفها في كل مرحلة من مراحلها ، وما ذلك على الله بعزيز .

(١) محاضرات في تاريخ الأدب العربي

للأستاذ محمد علاؤ الدين الندوي

مدير التحرير

صدر حديثاً مؤلَّف قيم في تاريخ الأدب العربي للأستاذ محمد علاؤ الدين الندوي (عميد كلية اللغة العربية وآدابها بجامعة ندوة العلماء) ، يغطي أربع مأة صفحة من القطع المتوسط ، والكتاب مزدان بمقدمة سماحة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي رئيس ندوة العلماء العام ، وكلمة تقديرية لفضيلة الشيخ الدكتور سعيد الأعظمي الندوي (مدير جامعة ندوة العلماء ، ورئيس تحرير مجلة البعث الإسلامي) ، فإنهما قرَّظا جهود الأستاذ الأديب محمد علاؤ الدين الندوي ، وأشادا بتأليف هذا الكتاب ، يقول سماحة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي في مقدمته : " وقد أعجبني سعي الأستاذ الفاضل والأخ العزيز محمد علاؤ الدين الندوي في إعداد محاضرات قيمة حول اللغة العربية وآدابها ، وقد احتوت محاضراته على معلومات وافية كثيرة ، وأدى بذلك حق هذه اللغة وآدابها " ، ويقول فضيلة الشيخ الدكتور سعيد الأعظمي الندوي في كلمته : " ومما بعث السرور في نفسي أن أتلقى مجموعة من تاريخ الأدب العربي ألفها الأخ الكريم الأستاذ محمد علاؤ الدين الندوي كمحاضرات ألقاها في الجامعة الإسلامية في شانتا فورم بولاية كيرالا (الهند) على دعوة من المسئولين عنها ، فإنني إذ أهنئ المؤلف الكريم على هذه الهدية الأدبية التاريخية التي قدمها لنا ولطلابنا في المدارس الإسلامية في الهند وخارجها أتضرع إلى الله تعالى أن يوفقه لأعمال تعليمية ودعوية باللغة العربية المفتخرة المعجزة في أيام مستقبلية بمشيئة الله تعالى " ، وقد صدر للأستاذ محمد علاؤ الدين الندوي عدة كتب باللغة العربية نالت القبول والإعجاب ، منها التعبيرات المنتخبة ، روعة البيان في الحوار القصصي ، وبراعم الإيمان ، وفصل الخطاب (مجموعة خطب عربية ، في جزئين) وغيرها باللغة العربية .

أما كتاب (محاضرات في تاريخ الأدب العربي) فهو يحتوي على أربعين محاضرة ، وكل محاضرة مدعمة بالمراجع والمصادر ، وأحيلت العبارات إلى مظانها مع نهاية كل محاضرة ، وقد استفاد المحاضر من

٨٧/ مرجعاً تاريخياً حول الموضوع ، فكانت مواد هذا الكتاب موثقةً ، وهو أحسن اختصار وأوفاه لتاريخ الأدب العربي ، لم يرتجل المؤلف هذه المحاضرات ، بل قام بإعدادها من قبل ، ثم رتبها حسب مستوى المستمعين ، وقدَّمها أمام الحضور بأسلوب شيق جميل .

إن ندوة العلماء حملت لواء إعداد المقررات الدراسية منذ أولها ، وقد دُونت الكتب والمؤلفات حول مواضيع شتى ، وكان للإمام الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي نصيب الأسد ، فإنه اعتنى بهذا الجانب اعتناءً بالغاً ، فلم يقم بإعداد منهج دراسي فحسب ، بل أعد جيلاً تعليمياً ، وكتيبة مؤمنة حملت لواء إعداد المقررات الدراسية في أحسن أسلوب سائغ للناشئين ، وأخص بالذكر منهم سماحة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي ، والشيخ سعيد الأعظمي الندوي والشيخ السيد محمد واضح رشيد الحسني الندوي ، وقد تربى المؤلف الأستاذ محمد علاؤ الدين الندوي أيضاً تحت رعاية الإمام الندوي رحمه الله ، فكان من ثمرة جهوده هذا الكتاب القيم (محاضرات في تاريخ الأدب العربي) .

وقد تم افتتاح هذا الكتاب في ندوة العلماء بيد سماحة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي في ٢٦/ ربيع الأول ١٤٤٤هـ ، الموافق ٢٣/ أكتوبر عام ٢٠٢٢م ، وحضر بالمناسبة فضيلة الشيخ الدكتور سعيد الأعظمي الندوي وغيرهم من أساتذة الدار .

لا شك أن هذا الكتاب زيادة قيمة في مكتبة تاريخ الأدب العربي ، وهو يتميز من بين سائر الكتب بسهولة الأسلوب ، وحسن العرض ، وإحالة كل كلام إلى مصدره ومرجعه ، كما يتميز باختصاره ووجازته ، لكن هذا الاختصار ليس مخلاً بالموضوع ، تناول المحاضر بذكر العصر الجاهلي في عشر محاضرات ، فلم يترك جانباً من جوانب العصور المختلفة إلا وقد ذكره بشيئ من التفصيل ، حتى إنه رد على جميع الافتراءات التي أثيرت حول الأدب العام ، إنه تسهيلاً للقراء والناشئين قسم هذا التاريخ إلى ثمانية أقسام : العصر الجاهلي ، و العصر الإسلامي ، العصر الأموي ، والعصر العباسي والعصر الأندلسي والعصر الفاطمي ، وعصر الضعف والانحدار ، والنهضة الحديثة ، وذكر في النهضة الحديثة بوجه أخص الشعر العربي المعاصر ، والشعر الحر .

ونحن نهنئ المؤلف على تقديم هذه التحفة العلمية والتاريخية إلى أوساط العلم والأدب ، ونرجو أنه لا يحرم المولعين بالأدب العربي بإنتاجاته العلمية والأدبية ، والله ولي التوفيق .

(٢) تاريخ ندوة العلماء باللغة العربية للدكتور محمد أكرم الندوي

وصلت إلى مكتب مجلة البعث الإسلامي هذه الوثيقة التاريخية المعروفة بتاريخ ندوة العلماء باللغة العربية للأستاذ الدكتور محمد أكرم الندوي (نزيل أكسفورد ، المملكة المتحدة) ، وذلك في مجلدين ، يغطي ١٢٥٠ صفحة ، قام بطبعه مركز الوراق للتراث ، الكويت ، ودار البشائر الإسلامية ، بيروت ، لبنان في حلة قشيبة جميلة ، تسر الناظرين .

يتحلى جيد الكتاب بمقدمة مسهبة للعلامة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي (رئيس ندوة العلماء) أطال الله بقاءه ، كما كتب الأستاذ محمد بن ناصر العجمي من الكويت ، تقديماً لهذا الكتاب التاريخي ، وأثنى على جهود المؤلف الكريم ثناءً بالغاً ، قال فيه :

أنعِم بسِفر باهر الأضواء ... وبه تجلت ندوة العلماء
صرح عظيم قد تسامى قدره ... مثل النجوم يضيئ والجوزاء
ولقد تكرم عالم متألق ... فيها تخرج مع ذوي الأضواء
جهد كبير مثل بحر زاخر ... فيه اللآلئ قد دنت للرائي
ولقد حوى تاريخ تأسيس لها ... ومؤسسيها السادة الخبراء
مع ذكر ما قد صنفوا أو ألفوا ... وجهودهم في العلم والإفتاء
فجزاه رب العرش خير جزائه ... مادام فينا ندوة العلماء

هذا التبريك والتهنئة الشعرية هي نداء كل من له علاقة بندوة العلماء من الصغار والكبار ، والمتخرجين القدامى والجدد ، والكتاب حاجة الساعة التي كان عُشاقه في انتظاره وترقبه ، وكان محبوه في لهفة وشوق إلى قراءته ودراسته ، وحينما وصل الكتاب إلى رحاب ندوة العلماء ، فكان لها صدى كبير، وكل دعا للمؤلف الكريم بالتوفيق والسداد وإنجاز أمثال هذه المشاريع العلمية .

ولا يخفى على كل من له أدنى معرفة بتاريخ المحدِّثات المسلمات عبر العصور أن الشيخ الدكتور محمد أكرم الندوي قد ألف أسفاراً ضخاماً حول تراجم النساء في الحديث النبوي الشريف ، وذلك في ٤٣ مجلداً ، ولم ننته – نحن القراء – من دراسته حتى فاجأتنا هذه الوثيقة التاريخية التي حيرت الطلاب والأساتذة بجامعة ندوة العلماء، وقد صدرت للأستاذ محمد أكرم الندوي كتب علمية ومؤلفات نافعة من دار القلم حول تراجم العلامة شبلي النعماني ، والعلامة السيد سليمان الندوي ، والإمام أبي الحسن علي الحسني الندوي ، وترجمة كتاب بستان المحدثين من الفارسية إلى العربية ، ودَع ذكر الرحلات التي يقوم بها ، ويدوِّن تفاصيلها ، وهي مطبوعة ، وأثبات الأسانيد الحديثية وغيرها من الأعمال .

يشتمل هذا الكتاب على خمسة عشر باباً ، ويبتدئ الكتاب من تمهيد ، وهو الهند في العهد الإسلامي وعهد الاستعمار البريطاني ، ثم كان الباب الأول حول تأسيس ندوة العلماء ، فتحدث فيه عن فكرة ندوة العلماء ، وعن أعلام أثروا في الفكرة الجديدة أمثال الشيخ فضل الرحمن الكنج المراد آبادي ، والعلامة عبد الحي الفرنغي محلي ، والشيخ إمداد الله المهاجر المكي ، ثم تحدث عن إنشاء ندوة العلماء ، وأثبت بوثيقة تاريخية أن إنشاءها كان في شعبان ١٣٠٩هـ ، الموافق ١٨٩٢م في مدرسة فيض عام بكانفور في حفلها للمتخرجين ، ثم ذكر المؤلف العلماء الذين حضروا هذا الحفل ، ووافقوا على إنشاء ندوة العلماء ، وذكر تراجم الأعلام المؤسسين لها ، ثم مقومات حركة ندوة العلماء ، وهي ثلاثة : إصلاح المجتمع ، التوسط والاعتدال ، وتطوير المنهاج التعليمي .

تناول المؤلف في الباب الثاني تأسيس دار العلوم التابعة لندوة العلماء إلى نهاية عهد محمد علي المونكيري ، وذكر في الباب الثالث عهد الشيخ مسيح الزمان الشاهجهانفوري وخليل الرحمن السهارنفوري ، والباب الرابع يتحدث عن عهد الشيخ عبد الحي الحسني والسيد محمد علي حسن خان ، وهو عهد الهدوء والاستقرار ، والباب الخامس يتحدث عن عهد الدكتور عبد العلي الحسني ، وهو عهد التطور والانفتاح ، والباب السادس وهو عهد الرقي والازدهار ، وهو عهد الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي ، هذا العهد يغطي أربعين سنة من المساحة الزمنية ، ثم جاء عهد الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي وهو عهد التوسع والانتشار ، كما ذكر المؤلف في الباب الثامن أقسام دار العلوم : التعليم ، والإفتاء والدعوة والتربية ، والباب التاسع يتحدث عن ندوة العلماء والفنون التي عنيت بها والمقررات الدراسية ، والباب العاشر يتحدث عن الكتابة والتأليف في ضوء المجلات العربية والمجلات غير العربية ، والمجامع العلمية الإسلامية أمثال دار المصنفين ، والمجمع الإسلامي العلمي .

أما الجزء الثاني للكتاب فهو الباب الحادي عشر : تأليف علماء الندوة في مختلف الموضوعات ، والباب الثاني عشر : العرب وندوة العلماء ، والباب الثالث عشر : أسانيد ندوة العلماء ، والباب الرابع عشر : الأربعون الندويات المتباينات ، الباب الخامس عشر : دور الندوة في عالمنا المعاصر ، ثم الخاتمة والمصادر والمراجع ، هذا خلاصة الكتاب بإيجاز .

يتجلى من دراسة الكتاب عدة مزايا ، وهي على ما يأتي :

(١) هذا الكتاب أول كتاب تاريخي باللغة العربية ، لم يكتب مثل هذا الإسهاب والتفصيل أي كتاب على حد علمي باللغة العربية ،

كما ألفه صاحبه ، وإن كانت هناك مجاميع مقالات ، ووريقات مبعثرة ، ودراسات جامعية غير متحلية بالطباعة ، فأول من قام بتعريف حركة ندوة العلماء باللغة العربية هم الإمام السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي ، والشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي والشيخ السيد محمد واضح رشيد الحسني الندوي ، والشيخ الدكتور سعيد الأعظمي الندوي ، فإن لهؤلاء المشائخ كتباً مختصرة ومتوسطة أمثال : ندوة العلماء : فكرتها ، منهاجها وأعلامها للشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي ، وندوة العلماء : حركتها ، دعوتها وأبعادها للشيخ سعيد الأعظمي الندوي ، وندوة العلماء في الدراسات الإسلامية والأدب العربي للأستاذ الدكتور قطب الدين الندوي (دهلي) .

(٢) هذا الكتاب يستوعب تاريخ ندوة العلماء إلى يومنا هذا ، وقد ألف تاريخ ندوة العلماء في مجلدين باللغة الأردية كل من الشيخ إسحاق جليس الندوي والشيخ شمس تبريز خان ، لكن هذين المجلدين إلى عهد الدكتور عبد العلي الحسني ، فهذا الكتاب يُطلع القارئ على تاريخ ندوة العلماء بكامله .

(٣) تتجمل صفحات هذا الكتاب بالمصادر الأصيلة ، إنه استفاد مباشرةً من تقارير سنوية لندوة العلماء ، وهي أوثق مصدر في تدوين تاريخ ندوة العلماء ، وقد نشرت صور فوتوغرافية لبعض التقارير حتى يكون القراء على بينة من الأمر ، ولا شك أن الشيخ أكرم الندوي صاحب البيت ، و " صاحب البيت أدرى بما فيه " .

(٤) يزدان الكتاب بصور الكتاب والشخصيات والأعلام الذين مضوا من قبل ، حتى صور المباني والأروقة والمكتبة العامة والمسجد الجامع مع الإشارة إلى ذكر تاريخها ، وهو أحسن طريق للوصول إلى مغزى الكتاب .

(٥) انتشر في هذا العصر في العالم العربي بوجه خاص اعتناء بالأسانيد ومشايخ الحديث الشريف ، والمؤلف يدرك أهمية الموضوع ، فإنه خصص باباً كاملاً لبيان أسانيد مشايخ ندوة العلماء ، حتى يمكن الاستفادة من هذه السلسلة الحديثية الذهبية .

على كل ، يعتبر الكتاب وثيقةً تاريخيةً من وثائق العلم والمعرفة ، وخدمةً كبيرة لندوة العلماء والمنتمين إليها ، وكنزاً ثميناً في المكتبات الإسلامية ، ونحن إذ نهنئ الأستاذ الدكتور محمد أكرم الندوي (حفظه الله ورعاه) من أعماق قلوبنا ، ندعو الله تعالى أن يسبغ عليه لباس القبول ، ويجعله مصدراً مهماً من مصادر تاريخ ندوة العلماء ، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

مجمع البحوث والدراسات الشرعية يعقد ندوة فقهية في رحاب ندوة العلماء

مدير التحرير

عقد مجمع البحوث والدراسات الشرعية لندوة العلماء ندوةً فقهيةً ليومين في ٢٧ – ٢٨ ربيع الثاني سنة ١٤٤٤هـ ، الموافق ٢٣ – ٢٤ من شهر نوفمبر ٢٠٢٢م تحت رئاسة سماحة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي رئيس ندوة العلماء ، وكان مدير دار العلوم لندوة العلماء سعادة الشيخ الدكتور سعيد الأعظمي الندوي ضيف الشرف في هذه الندوة ، وكانت محاور الندوة مسائل كورونا والديون الربوية ، حضرها من العلماء والفقهاء وأصحاب الإفتاء من مختلف ولايات الهند بعدد لا بأس به .

قال سماحة الشيخ السيد الرابع الحسني الندوي في كلمته الرئاسية : إن الإسلام آخر الأديان السماوية ، ويبقى بإذن الله إلى يوم القيامة ، ويحل كل قضية من قضايا الحياة الإنسانية ، فلا بد لنا من دراية أحكامه ومسائله ، وقد وقف الفقهاء الكبار مجهوداتهم لنيلٍ هذا الغرض ، فاستفادت الأمة من اجتهاداتهم ، وأضاف الشيخ قائلاً : إن الرأي الشخصي وإن كان صائباً ، ويؤجر صاحبه عليه ، لكن يحتمل الخطأ ، لكن إذا اجتمع العلماء الكبار والفقهاء العظام حول مسألة من المسائل الشرعية ، ووافقوا على تقديم حلولها نظراً إلى نظائرها في الشريعة الإسلامية كان هذا الاجتهاد أصوب وأحكم ، وقد تناولت ندوة العلماء هذا الموضوع قبل ستين عاماً في زمن رئاسة الإمام السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي ، وأنشأ لهذا الغرض مجمعاً شرعياً ، كان من أمنائها السابقين الشيخ محمد تقي الأميني ، والشيخ محمد إسحاق السنديلوي والشيخ محمد برهان الدين السنبهلي ، واختير الآن لهذا المجمع سكرتيراً جديداً الأستاذ عتيق أحمد البستوي أستاذ الحديث والفقه بدار العلوم لندوة العلماء .

وكانت الكلمة الافتتاحية لسعادة الشيخ الدكتور سعيد الأعظمي الندوي (مدير دار العلوم لندوة العلماء) ، فقال فيها : العصر الحاضر يحتاج إلى قيادة جامعة في كل مجال من مجالات الحياة ، ولا يمكن ذلك إلا من جماعة العلماء والفقهاء الذين يطلعون على الشريعة الإسلامية ، وقد بذل الفقهاء القدامى في هذا المجال مجهوداتهم ، فكان الدين قد وصل إلينا في أتم صورة وأحسن شكل ، وقد تنوعت القضايا في

هـذا العـصر ، فـإذا لم تقـدَّم حلولهـا في ضـوء الـشريعة الإسـلامية أصـيب الناس بالردة والمروق من الدين .

بـدئت الحفلـة الافتتاحيـة بـتلاوة المقـرئ محمـد طـه أطهـر النـدوي (الأسـتاذ بـدار العلـوم) ثـم قـدم الأسـتاذ السيد بـلال عبـد الحـي الحسنيِ (الأمين العام لندوة العلماء) كلمة ترحيبية ، رحب فيها المندوبين ، قائلاً : هـذه النـدوة تعقـد تحقيقـاً لأهـداف نـدوة العلمـاء ، وألقـى بالمناسـبة فـضيلة الأسـتاذ المفتي عتيـق أحمـد البـستوي سـكرتير مجمـع البحـوث والدراسـات الشرعية كلمة مفتاحية ، استعرض فيها حاجة الاجتهاد الجماعي في هـذا العصر ، كما سلط الضوء على تاريخ الاجتهاد في زمن الصحابة رضي الله عنهم ، وبيَّن تـاريخ مجمـع البحـوث والدراسـات الشرعية الـذي أنشـأه الإمـام الشيخ السيد أبو الحسن علي الحسني النـدوي في عـام ١٩٦٣م ، وكـان هـذا المجمع نشيطاً إلى ١٩٧١م ، ثم توقف عمله ، ففكـر مسئولو نـدوة العلمـاء في إحياء هذه المؤسسة الفقهية من جديد ، وكـان إحياؤهـا عـام ٢٠١٩م ، وقـد أنجز خلال هذه المدة مشاريع علمية ، بحيث تم افتتاح عشرة مؤلفات للمجمع بهذه المناسبة ، وهذه الندوة الفقهية من هذه السلسلة الذهبية .

وألقـى فـضيلة الـشيخ خالـد سيف الله الرحمـاني (الأمـين العـام لمجمع الفقه الإسلامي بالهند) كلمة ، قال فيها : الإسلام دين كل عصر ومصر ، ولا تتحقق هذه الصفة للإسلام إلا بجهود العلماء الذين يطلعون على المصادر القديمة والأوضاع الجديدة ، فالحاجة إلى تقديم الإسلام في أسلوب عصري ، يوافق أذهان الجيل الناشئ ، وكـان للشيخ عبد العليم الفـاروقي (رئـيس دار المـبلغين بلكنـاؤ) ، والـشيخ عبيـد الله الأسـعدي (شـيخ الحـديث بالجامعـة العربيـة بمديريـة باندـه) كلمـات في الحفلـة الافتتاحية ، أدار الحفل الأستاذ ظفر عالم النـدوي (الأستاذ بدار العلوم) ، وقدَّم الأستاذ منور سلطان الندوي (مسئول مكتب المجمع) تقريراً سنوياً للمجمع ، وقدم الأستاذ كمال أختر النـدوي (مساعد الأمين العام لنـدوة العلمـاء) كلمـة الشكر إلى الحضور ، وكـان لكـل من الأسـتاذ رحمـة الله النـدوي والدكتورمحمـد نـصر الله النـدوي والـدكتور محمـد علـي شفيق الندوي والأستاذ منور سلطان الندوي أعضاء المجمع جهود مشكورة في إنجـاح هـذه النـدوة ، وقـد عقـدت لهـذه النـدوة أربـع جلسـات ، مـا عـدا الافتتاحية والنهائية ، وكانت فيها مناقشات ومداخلات حول الموضوع ، خـاض كـل مـساهم في البحـث والنقـاش ، وأخـيراً وافقـت اللجنـة علـى القرارات والتوصيات ، وانتهت الندوة بالدعاء .

(١) الشيخ المفتي محمد رفيع العثماني إلى رحمة الله تعالى

قلم التحرير

أفادت الأنباء بوفاة الشيخ المحدث المفتي محمد رفيع العثماني نجل العلامة الشيخ المفتي محمد شفيع العثماني رحمه الله تعالى في مدينة كراتشي ، وذلك ١٤٤٤/٤/٢٣هـ ، الموافق ١٨/ نوفمبر ٢٠٢٢م عن عمر يناهز ٨٦ عاماً ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان الشيخ محمد رفيع العثماني عالماً كبيراً ، ومحدثاً جليلاً ، ومفتياً عاماً للديار الباكستانية ، وُلد في ديوبند قبل تحرير الهند عام ١٩٣٦م ، وحفظ القرآن الكريم بها ، ثم هاجر مع أبيه الشيخ محمد شفيع العثماني إلى باكستان ، وأكمل دراسته هناك ، وتخرج من دار العلوم بكراتشي في العلوم الإسلامية ، وكان من مشايخه في الحديث الشيخ المفتي رشيد أحمد اللديانوي ، والشيخ أكبر علي السهارنفوري ، والشيخ سحبان محمود ، والشيخ سليم الله خان ووالده الكريم الشيخ المفتي محمد شفيع العثماني وغيرهم .

اشتغل الشيخ رفيع العثماني طول حياته بالتدريس والإفتاء ، وتقلد مسئوليات مهمةً في البلاد ، وله تعليقات نافعة على فتح الملهم ، وبيع الوفاء ، وشرح عقود رسم المفتي ، ورسائل أخرى .

كانت وفاته خسارةً كبيرةً للعلم والعلماء ، ونحن إذ نعزي أخاه العزيز الشيخ المحدث المفتي محمد تقي العثماني وجميع أعضاء أسرته ندعو الله أن يتغمده بواسع رحمته ، ويغفر له زلاته ، ويكرمه بالجنات والنعيم .

(٢) الأستاذ الباحث محمد عُزير شمس إلى رحمة الله تعالى

انتقل إلى رحمة الله تعالى الأستاذ الباحث محمد عزير شمس بن شمس الحق ، الذي أقام في مكة المكرمة حوالي أربعين عاماً ، دارساً وباحثاً ومحققاً ، وذلك في ٢٠/ ربيع الأول ١٤٤٤هـ ، الموافق ٢٠٢٢/١٠/١٥م ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان الأستاذ عزير ينتمي إلى ولاية بنغال الغربية ، وُلد فيها عام ١٩٥٧م ، ودرس في المدارس الابتدائية في منطقته ، ثم تابع دراسته في الجامعة السلفية بمدينة بنارس ، كما تخرج من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، في كلية اللغة العربية ١٤٠١هـ ، وحصل على شهادة الماجستير من جامعة أم القرى بمكة المكرمة ، وكانت رسالته للدكتوراه حول : التأثير العربي في شعر الشاعر ألطاف حسين حالي .

اشتغل الأستاذ عُزير بالتأليف والتحقيق طول حياته ، وكان له ذوق خاص بهذا الموضوع ، وقد زار ندوة العلماء ، ولقي مشايخها وأساتذتها ، وكانت زيارته

هذه للبحث عن الآثار العلمية للعلامة ابن تيمية رحمه الله ، فكان موفقاً في هذا العمل ، وطُبع من جهات النشر ، ولقي قبولاً عاماً ، ومن مؤلفاته : حياة المحدث شمس الحق وآثاره ، والجامع لسيرة ابن تيمية خلال سبعة قرون ، كما حقق بحوثاً وتحقيقات للعلامة عبد العزيز الميمني وروائع التراث ، وقاعدة في الاستحسان ، وجامع المسائل في خمسة مجلدات لابن تيمية ، وآثار علمية أخرى .

رحمه الله رحمةً واسعةً ، وجزاه عما قدم من علم نافع وتحقيقات متقنة خير الجزاء .

(٣) الدكتور محمد نجاة الله الصديقي في ذمة الله تعالى

الدكتور محمد نجاة الله الصديقي من العلماء المعروفين بالاقتصاد الإسلامي في العالم الإسلامي قد لبى ربه في ١٤٤٤/٤/١٦هـ ، الموافق ١٢/ نوفمبر ٢٠٢٢م ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان الدكتور محمد نجاة الله الصديقي من مواليد ١٩٣١م بمدينة غورخفور أترابراديش ، واصل دراسته في مدرسة الإصلاح بأعظم جراه ، ونال شهادة الدكتوراه من جامعة علي جراه الإسلامية ١٩٦٦م ، وقد عمل إلى مدة طويلة في جامعة الملك عبد العزيز بجدة ، المملكة العربية السعودية ، ثم انتقل إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، واشتغل بالبحوث والدراسات الاقتصادية ، وقد نال جائزة الملك فيصل العالمية من المملكة العربية السعودية عام ١٩٨٢م ، كما نال جائزة الإمام الدهلوي من معهد الدراسات الموضوعية بدهلي لصاحبها الدكتور محمد منظور عالم حفظه الله عام ٢٠٠٣م .

ألف الدكتور محمد نجاة الله مؤلفات قيمةً حول الاقتصاد الإسلامي ، كما قام بإعداد بحوث ودراسات علمية ، ونشرت هذه البحوث في المجلات العالمية المحكمة ، منها نظرية الملكية في الإسلام ، المشروع الاقتصادي في الإسلام ، الفكر الاقتصادي الإسلامي ، التأمين في الاقتصاد الإسلامي .

غفر الله له ، ورفع درجاته ، وتقبل أعماله وإنجازاته ، وحشره مع عباده الصالحين .

(٤) الأستاذ الدكتور محمود الطحان إلى رحمة الله تعالى

استأثرت رحمة الله تعالى بالأستاذ الدكتور المحدث محمود الطحان في ٢٨/ ربيع الآخر ١٤٤٤هـ ، الموافق ٢٤/ نوفمبر ٢٠٢٢م ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان الشيخ محمود الطحان عالماً كبيراً ، ومحدثاً جليلاً ، في العالم الإسلامي ، وكان والده أحمد الطحان ، وُلد الشيخ محمود في حلب عام ١٩٣٥م ، ودرس الابتدائية فيها ، ثم انتقل إلى منبج ودرس هناك ، وقد تخرج من كلية الشريعة بجامعة دمشق عام ١٩٦٠م ، بدأ حياته من الإمامة والخطابة حتى حاز مكانةً عاليةً في التدريس والتأليف والتحقيق ، وقد كانت مسيرته التدريسية في

المملكة العربية السعودية ، انتشرت مؤلفاته في العالم الإسلامي ، من أشهر مؤلفاته في الحديث : تيسير مصطلح الحديث ، وهو من المقررات الحديثية في المدارس والجامعات الإسلامية ، ومعجم المصطلحات الحديثية ، وأصول تخريج الأحاديث ودراسة الأسانيد .

ونحن إذ نعزي أسرته وأهله على هذا الحادث ندعو الله أن يدخله في جنات النعيم ، ويحشره مع الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقاً .

(٥) الأخ العزيز رشيد أحمد إلى رحمة الله

انتقل إلى رحمة الله تعالى الأخ العزيز رشيد أحمد من مدينة مئو في ٧/ جمادى الأخرى ١٤٤٤هـ ، الموافق ٢/ من شهر دسمبر عام ٢٠٢٢م ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان الأخ الكريم رشيد أحمد نجل أختي الكبيرة السيدة عائشة (رحمها الله) ، وكان والده الشيخ عبد الرحمن النعماني من خريجي الجامعة الإسلامية دار العلوم بديوبند ، كما أن أخاه الكبير الأستاذ إقبال أحمد المدني الندوي يقوم بمهمة التدريس في إحدى مدارس لكناؤ ، وقد درس الأخ رشيد أحمد في مدينة مئو ، وحاز الشهادة العصرية ، وكان قد عُين مدرساً في معهد الفردوس بلكناؤ ، وكان يدرس بكل إتقان ، إذ فاجأه الأجل المسمى ، وكان قدر الله قدراً مقدوراً .

ندعو الله تعالى أن يغفر زلاته ، ويصفح عن سيئاته ، ويتقبل حسناته ، ويدخله جنات الفردوس الأعلى .

(٦) والد الدكتور خورشيد أشرف الندوي إلى رحمة الله تعالى

انتقل إلى رحمة الله تعالى السيد إقبال أحمد في ٢٠/ ربيع الآخر ١٤٤٤هـ ، الموافق ١٥/ نوفمبر عن عمر يناهز ٨٨ عاماً ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان الراحل الكريم ينتمي إلى أسرة معروفة في مديرية سدهارت نغر ، وكان ذا علاقة وطيدة بأهل قريته ، وقد ربى أولاده تربية دينية ، ولا سيما الدكتور خورشيد أشرف الندوي الذي درس جامعة ندوة العلماء ، ثم واصل دراسته في جامعة الأزهر بجمهورية مصر ، ويدير الآن معهداً إسلامياً في مدينة لكناؤ ، ولا يزال يكتب في مجلة البعث الإسلامي دراسات فقهية ، أما الأستاذ جنيد أشرف الندوي فهو نجل الرحيل الأصغر ، تمت الصلاة عليه في رحاب المعهد الإسلامي ، ودُفن في مقبرة قرية أكرهرا .

رحمه الله رحمةً واسعةً ، وتقبل منه أعماله ، وغفر له زلاته ، وأدخله الفردوس الأعلى ، وألهم أهله وأسرته الصبر والسلوان .

(٧) والد الأخ الأستاذ محمد جاويد أختر الندوي إلى رحمة الله تعالى

توفي الشيخ محمد محفوظ الرحمن من مديرية أرارية بولاية بهار بالغاً من العمر ٦٥/ عاماً في ٢٩/ ربيع الثاني ١٤٤٤هـ ، الموافق ٢٦/ أكتوبر ٢٠٢٢م ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان الشيخ محفوظ الرحمن ينتمي إلى أسرة دينية لها علاقة وطيدة بالعلم والعلماء ، وتعلم في مدرسة عصرية ، ثم اشتغل بأعمال منزلية ، وأنشأ مسجداً على أرضه الخاصة في قريته ، كان له مؤذناً ومشرفاً عليه ، وأحياناً يكون إماماً فيه ، إنه زار ندوة العلماء ولقي علماءها ومشائخها ، وقد جهزت له تذكرة السفر إلى ندوة العلماء حيث يقيم نجله الأستاذ محمد جاويد أختر الندوي ، إذ أصيب بمرض فأدخل في المستشفى ، وانتقل إلى رحمة الله تعالى .

خلف الراحل وراءه أبناء وبنات ، وفي الأبناء الأستاذ محمد جاويد أختر الندوي (أستاذ بكلية الشريعة وأصول الدين بدار العلوم لندوة العلماء ، ومساعد التحرير لصحيفة تعمير حياة الأردية) ، إنه تعلم العلوم الإسلامية في دار العلوم لندوة العلماء ، وعُين فيها مدرساً للعلوم الشرعية .

ونحن إذ نعزي الأخ العزيز محمد جاويد أختر الندوي على رحيل والده ندعو الله تعالى أن يدخل الراحل فسيح جناته ويكرمه بالجزاء الأوفى ، إنه على كل شيئ قدير وبالإجابة جدير .

(٨ – ٩) الأخوان العزيزان السيد نقيب بن نور الأمين وانتخاب عالم في ذمة الله تعالى

(٨) فاجأ أجل الله الأخ العزيز السيد نقيب بن نور الأمين ايس كى من مدينة باتكل بجنوبي الهند في ١٦/ أكتوبر عام ٢٠٢٢م ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان الأخ نقيب يدرس في دار العلوم لندوة العلماء في الدراسات العليا ، وكان طالباً مجتهداً ، نشيطاً في أعماله ، وُلد في مدينة باتكل ٧/ من شهر أكتوبر ٢٠٠١م ، وله ثلاث أخوات ، وكان ابناً وحيداً لأبيه ، درس في الجامعة الإسلامية ببهتكل ، واستفاد سنةً كاملةً من الدراسة عن بُعد ضمن النظام التعليمي لندوة العلماء الجاري عبر فيروس كورونا ، وكان يواصل دراسته هذا العام في جامعة ندوة العلماء ، إذ أصيب بوجع في رأسه ، فجرت معالجته في دهلي وجندي غره ، لكنه لم يبرأ ، وفاضت روحه إلى بارئها

(٩) كما غادر إلى رحمة الله تعالى الأخ انتخاب عالم الطالب في السنة الرابعة للعالية الشريعة في ٤/ جمادى الأولى ١٤٤٤هـ ٢٩/ نوفمبر عام ٢٠٢٢م . فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان الأخ العزيز انتخاب عالم من مديرية مدهوبني بولاية بهار (الهند) قد مرض قبل أيام مرضاً شديداً ، فأدخل في مستشفى لكناؤ ، ثم نقل إلى دهلي ، وجرت معالجته تحت أطباء ماهرين ، لكن جاء الأجل المحتوم ، فلبى نداء ربه ، وترك والديه وجميع أفراد أسرته في حزن وأسى .

غفر الله لهما ، وأدخلهما فسيح جناته ، وألهم أسرتهما الصبر الجميل على هذا المصاب الفادح .

بسم الله الرحمن الرحيم

البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية جامعة
ص ب ٩٣، ندوة العلماء، لكناؤ (الهند)
الفاكس :٠٥٢٢- ٢٧٨٧٧١٠

AL-BAAS-EL-ISLAMI

NADWATUL ULAMA, P.O. BOX. 93
LUCKNOW-226007-U.P.(INDIA)
FAX:0091-522,2741221-2741231
E-Mail: albaas1955@gmail.com

رسالة أخوية مهمة

حضرة الأخ القارئ الكريم! حفظهالله تعالى للإسلام

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد فأتمنى على الله سبحانه أن تكونوا في خير وعافية وصحة جيدة، نشكركم على ما تتابعونه من قراءة:"البعث الإسلامي" وهي مجلتكم ومجلة كل محب للصحافة الإسلامية الهادفة، تصدر من ٦٨ /عاماً بالاستمرار، وهي تجتاز الآن عامها التاسع والستين - والحمد لله - ونرجو الله سبحانه أن يوفر لإتمامه جميع الوسائل اللازمة ويجعل التوفيق حليف العمل والعاملين.

لا يخفى عليكم أن المجلة إنما تصدر في ظروف قاسية جداً، وبتكلفة باهظة، ولاسيما بعد تضاعف أجرة البريد فهي بأمس حاجة إلى تعاون كريم منكم، وذلك بتقديم دعم علمي ومادي وشيء من الاهتمام بتوسعة نطاق مشتركين جدد من جملة إخوانكم وأصدقائكم، ولكم منا الشكر الجزيل ومن الله تعالى حسن القبول.

أرجو التكرم بتحويل أي تبرع أو اشتراك للمجلة بواسطة شيك صادر من أحد البنوك باسم:

AL-BAAS, A/C No. 10863759846
IFSC CODE: SBIN0000125, SWIFT CODE: SBININBB157
STATE BANK OF INDIA, LUCKNOW MAIN BRANCH (INDIA)

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته
أخوكم المخلص
سعيد الأعظمي الندوي
رئيس تحرير مجلة البعث الإسلامي

بالعنوان التالي:

مكتب "البعث الإسلامي"مؤسسةالصحافة والنشر
ندوة العلماء، ص ب ٩٣، لكناؤ (الهند)

R.N.I. No. (U.P.) ARA/2000/02341
Postal Regd. No. SSP/ LW-NP/64/2021 To 2023
Published on: 3rd of Every Month
Posted at R.M.S. Charbagh Lucknow-04

Despatch Date: 5,6,7
ISSN 2347-2456
Per Copy. Rs. 40/-
Annual Subs. Rs. 400/-

Monthly

AL-BAAS-EL-ISLAMI

Vol. No. 69 Issue. No.01, January 2023

إصدارات حديثة

محاضرات في تاريخ الأدب العربي

بقلم

محمد علاؤالدين الندوي

عميد كلية اللغة العربية وآدابها، بدارالعلوم لندوة العلماء، لكناؤ (الهند)

الناشر

مجلس العلم والعرفان، لكناؤ (الهند)

٨٣١٨٨٤١٢٨٦

Designed by Hamid, Mob:9889654027,9918687777, E-mail:hrhamid1962@gmail.com

Printed & Published by ATHAR HUSAIN on behalf of Majlis-e-Sahafat-wa-Nashriyat
(Dept. of Journalism & Publicity) at Azad Printing Press, Nazirabad Lucknow. U.P.
Editor: SAEED -AL - AZAMI - AL- NADWI